العدد العاشر من السنة السادسة ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — أكتوبر سنة ١٩٤٥

مجلة

# الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشرقي

تليفون ٨٥٣١٢

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٥

## عدد أكتوبر سنة ١٩٤٥

التي وافق سعادة الوكيل على إجازتها للنشر


| | | صفحة |
|---|---|---|
| الأغنياء والروح العامة ... ... ... ... | للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ... | ٣ |
| التعليم وأثره... ... ... ... ... ... | « محمد عطية الابراشي ... ... ... | ٧ |
| الاقبال على الزواج ... ... ... ... ... | « عبد الحميد يونس... ... ... ... | ١٤ |
| العمال في مصر والخارج ... ... ... ... | « عبد العزيز عبد المجيد ... ... ... | ١٩ |
| المذاهب الاجتماعية والاقتصادية ... | للدكتور محمد خلاب ... ... ... ... ... | ٢٣ |
| الرجوع الى الطبيعة ... ... ... .. | للأستاذ عبد المنعم خلاف ... ... ... | ٣٣ |
| مجانية التعليم ... ... ... ... ... ... | « محمود غنيم ... ... ... ... ... | ٣٧ |
| الجريمة والزكاة... ... ... ... ... ... | للآنسة منور حافظ ... ... ... ... ... | ٤٢ |
| دعم الخلق في الأسرة .. ... ... ... | للأستاذ محمد مصطفى عطا ... ... ... | ٤٥ |
| نفسية المقامر ... ... ... ... ... ... | « أبو النور بدير ... ... ... ... | ٤٩ |
| ضبط النفس ... ... ... ... ... ... | للأديب محمد عبد الكريم ... ... ... ... | ٥٠ |
| ليون تولستوى ... ... ... ... ... ... | للكاتبة زينب محمد حسين... .. ... ... | ٥٦ |
| الرياضيون في خدمة المجتمع ... ... ... | للأستاذ عريان يوسف سعد ... ... ... | ٦٣ |
| كيف يكون مسكن الفلاح ؟ ... ... | « محمد سعيد حجوم... ... ... ... | ٦٩ |
| مكافحة الأمية ... ... ... ... ... ... | « قانون ... ... ... ... ... ... | ٧٦ |

# الأغنياء والروح العامة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

سألنى صديق ذات يوم : ماذا عساك كنت تصنع يالك لو كنت ذا مال ؟

فكان أول ماخطر لى فى جواب سؤاله : أن ذات المال أولا ، وبعد ذلك تفكر فيما يمكن أن نصنع به .

وكف الصديق عن مسألتى ، لما رآنى أفتر من وجع الدماغ بلا موجب ، ولكنى أنا ذهبت بعد ذلك أفكر فى سؤاله جادا ، وأوثر الدقة فأقول ، إنى فكرت فى أمر أغنيائنا وهم كثير والحمد لله الذى لايحمد على المكروه سواه .

ولعلكم فهمتم أنى غير راض عن كثرة الأغنياء فى مصر ، ولا عن مبلغ غناهم أيضا ، وهذا صحيح ، وليس معنى هذا أنى أكره أن أرى الناس فى رغد وخفض وسعة ، معاذ الله ، كل مافى الأمر أن كثرة الغنى والأغنياء تنقلب فى النهاية نقمة على الأمة إذا لم تكن مقرونة باستخدام جانب من هذا الثراء فى تعهد الفقراء ، ولهذا أرانى مشفقا جدا من مغبة الحالة فى مصر .

ذلك أن البون بعيد جدا بين الغنى منا والفقير ، وليس كل ما أعنيه ببعد البون بين الفريقين أن الأغنياء عندهم كل ماالشتهوه ، وأن الوسائل كلها متيسرة لهم ، وأن الفقير محروم حتى من العلم والصحة ، وإنما أعنى أيضا أن الأغنياء عندنا لا يعرفون إلا ماهم فيه ، وأنهم قلما يشعرون بما يعانيه الفقراء ، فإذا سمعوا بذلك أو حدثهم به محدث استغربوا لأنهم ألفوا الخفض والدعة ، وإذا فهموا لم يزيدوا على الإعراب عن الأسف باللسان ، دون أن تحس قلوبهم شيئا من الالم ، أو العطف الصادق ، ولم يشعروا بدافع إلى عمل شىء يخفف هذا البلاء الذى يكابده الجمهور الأكبر من الشعب ، أما الفقير فعلى خلاف ذلك بل نقيضه — يعرف ماهو فيه من الضنك والعجز وسوء الحال من كل وجه ، ويعرف أيضا مافيه الأغنياء من النعمة والترف ، ويقيس حاله المنكود إلى حالهم المحسود فيندب سوء حظه ، ويسخط على هذه القسمة التى لا يرى فيها عدلا ، وقد يحوقل ويسترجع لقضاء الحظ فيه ولا يخطر له أن يتمرد ، ولكنه لايكون فى سريرته وقرارة نفسه إلا متبرما على الأقل .

هذا هو الذى أعنيه على الخصوص بالفرق بين أغنيائنا وفقرائنا ، أما مجرد تفاوت الرزق فشىء لم تخل منه الدنيا قط ، ولا يمكن أن تخلو منه ، حتى فى الدول الاشتراكية أو الشيوعية لاسبيل الى المساواة التامة ولا معدى عن قدر من التفاوت فى الأرزاق والحظوظ ، وليس هذا بذى قيمة تستحق الذكر ، وإنما الذى له قيمة ولابد أن يكون له أثر لايمكن أن يكون حميدا فهو فى غفلة الأغنياء .

---

نص المحاضرة التى أذيعت فى البرنامج الثقافى لوزارة الشئون الاجتماعية

حدثت مرة رجلا أنعم الله عليه بالثراء وكنت أرجو أن أوفق إلى إقناعه بإقامة مستوصف للفقراء أو مطعم شعبي أو في شيء من هـذا القبيل بدلا من التبرع لنادٍ رياضي ، فكان آخر ماسمعت منه بعد أن بح صوتي ونشف ريقي أن الفقراء هذا حالهم أبدا وما زالوا يعيشون هكذا طول عمرهم هم وأبناؤهم من قبلهم ، فقلت له إن كونهم فقراء منذ جاءوا الى هذه الدنيا لا ينبغي أنهم يرمون بالنباتة وهم ساخطون على رقة الحال ثم إنه لا ينبغي أن ننسى أنهم جديرون بالعطف والرحمة والمعونة ، ولكني أخفقت في إقناعه .

وحادثت رجلا آخر من سراتنا ، فتفلسف وقال ، إن العبرة ليست بالفقر ، بل بثقل وطأة الإحساس به ، ومادام أن فلاحينا لا يثقل على كاهل صدورهم ماهم فيه من الضنك ، فهم راضون شاكرون .

فقلت له إن هذا كان خليقا أن يكون صحيحا لو كان الناس جميعا على غرارهم ، إذا لما أحسوا شيئا من التفاوت ولما دفعهم هذا التفاوت إلى التأمل والمقارنة والمقابلة ، ولكنهم يرون الأغنياء ولا يخفى عليهم ما ينعمون به من نضارة العيش وخصب الجناب ، فليس يسعهم إلا أن يقيسوا حالهم الزرى إلى هـذه الرفاهية المشتهاة ، ثم إنهم كانوا خلقاء أن يرضوا عن حظهم السيء أو يتقبلوه بالصبر ، لو رأوا من دؤلاء الأغنياء مواساة لهم وعطفا عليهم وبرا بهم ، وتعضيدا لهم ، إذا لزادوا على الصبر شكروا ، وحمدوا الله الذى جعل بينهم أغنياء فيهم خير وتقوى ، أما والحال ليس كذلك والأغنياء يزدرونهم ولا يعبأون شيئا بما هم فيه من نكد العيش فماذا تنتظر ؟

ولما كانت الملاريا فاشية في بعض أقاليم الصعيد قلت لواحد من أهل تلك البلاد آتاه الله سعة عظيمة في رزقه ، ألا تخرج لهم شيئا مما أعطاك الله ؟ فسألني أي شيء أعني ؟ قلت الطعام والكسوة ، قال هذا شأن الحكومة ، فلست أستطيع أن أطعم وأكسو قرى بأثرها ، قلت صحيح ولكن هذا لا يمنع أن تجود بما عندك والقليل الى القليل كثير ، فأبى ، فلم يسعني إلا أن أقول له إنه أحق لأن دؤلاء الذين يتعدهم المرض أو يقتلهم هم الذين يعملون في مزارعه ، فماذا يكون مصير هذه المزارع المغلة الفياضة بالخيرات إذا قلت الأيدى العاملة أو كلت من الضعف ؟ أو سقطت على كبده الغلطة التى أبت له أن يطعم جائعا من رجاله وعماله أو يكسو عريانا ؟

الحقيقة إن أغنياءنا فيهم غفلة شديدة حتى عن مصلحتهم هم ، ونظرهم قصير غاية القصر لأنهم لا يجعلون مالهم إلا إلى المظاهر التى يعتقدون أنها تزيد في جاههم ، وغير منكور أن أغنياءنا يتبرعون ويجودون ويخرجون عن كثير من حر مالهم ، ولكن انظر كيف يتبرعون ولماذا يسهمون ؟ يفعلون ذلك في الأغلب والأعم تقربا لذوى السلطان وأهل الرياسة أو الجاه

العريض ، ولأن الذى يدعو إلى الاكتتاب أو يرعى المشروع ويتعهده ممن يرجى خيرهم أو يخشى شرهم ، أو ممن يحب الغنى أن يبادى الاتصال به فيفخر بأن يدعوهم إلى ولائمه أو يدعى إلى ولائمهم، أو حتى أن يرى معهم فى حفل أو ناد ، أما أنهم يتبرعون أو يجودون من تلقاء أنفسهم أو بدافع من شعور العطف الذى ينطوون عليه أو لإدراك لمبلغ الحاجة إلى ما يتبرعون له ، فهذا هو الذى أنكره ، ولكل قاعدة استثناء وما تخلو الدنيا من أهل الخير والمروءة ، ولكن هذا هو الأعم والأغلب .

حفيت قدماى مرة من طول السعى بحمل غنى على معاونة جماعة على عمل فيه خير لزمرتهم فخبت وقنطت، ثم رأيت أن أسلط عليه وزيرا ، فما احتاج والله إلى أكثر من كلمة بالتليفون، وزاد فضاعف المبلغ الذى كنت أقترحه أضعافا ثلاثة .

وأنا أدرك أن بعض الروح العامة كما تسمى أو هذا القعود عما يمكن أن نسميه " المروءات الاجتماعية " مرجعه إلى الأثر الذى خلفته عصور الظلم والاستبداد الطويلة التى عانتها بلادنا فيما مضى أيام كانت الحكومة كل شىء والشعب لا شىء، وأيام كان الناس يظلمون ويغبنون ويؤخذون بالشبهات ، ويبتز مالهم ويغتصب ما يملكون ولا رحمة ولا عدل ولا أمن من عسف ، فتعود النــاس النفاق والمصانعة والأثرة على الخصوص ، وصارت القاعدة فى الحياة " نفسى نفسى وبعدى الطوفان " .

ولا يزال أثر هذه العصور المظلمة باقيا ظاهرا ملموسا محسوسا فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وفى علاقاتهم بالحكومة والموظفين ، وعلاقات الموظفين بالشعب ، فالنــاس يسيئون الظن بأنفسهم وبالموظفين ، ويتقون شرهم ولا يرجون خيرهم ولا يبــالى بعضهم بعضا إلا بمقدار ما يرغبون أو يرهبون ، والموظفون يعدون أنفسهم " حكاما " ويعــدون الشعب " رعية " وينظرون إليه هذه النظرة المتعجرفة ويحرصون معه على " النفخة الكدابة " .

وقد عاد عهد الدستور منذ أكثر من عشريــن عاما ، وسوى بين الناس وأطلقت الحريات فى حدود القانون ، ولكن عشرين عاما أو ثلاثين حتى لو حسنت السيرة لا تمحو آثار القرون الجديدة، فما ظنك ونحن قد أسأنا السيرة مع الأسف لا عن عمد ، فلست ممن يتهمون الضمائر أو يشكون فى صــدق السرائر ولا ممن يعتقدون أن مصريا يمكن أن يتعمد أن يفسد ويسىء إلى أمته، ولكنه الجهل أو قلة العقل أو ضعف الإدراك أو قصر النظر ، وإننا على الرغم مما أفادنا التعليم الحديث وما حصلناه من المعارف المختلفة لا نزال متأثريــن بذلك المــاضى وما فتئنا نمشى فى حاشية من ميراثهم الثقيل .

ولا خير فى أى إصلاح مالم نعمل على محو أثر الماضى، والمحو يكون بالحرص على احترام إنسانية الإنسان وأن تقوم العلاقات بين الناس على الرحمة والعدل والتعاون وأن يدرك الناس فى سلوك الحكومة أنها خادمته لاحاكمته، وفى سيرة الأغنياء أن غناهم ليس نعمة لهم وحدهم بل نعمة للشعب أيضا وبركة .

ولابد أن يجىء اليوم الذى يتحقق فيه ذلك فيتخلص الناس من آثار الماضى ويحيون حياة إنسانية كريمة، وتعرف الحكومة واجبها الصحيح وتؤديه أداء حكيما معقولا، ويعرف الأغنياء حق الأمة عليهم .

سيجىء هذا اليوم بلا أدنى شك، ولكنه لايجىء إلا من أحد طريقين، طريق النضال الطويل المر فى سبيله وليس هذا من الخير فى شىء، والطريق الآخر أهون وأقصر وأرشد، وهو الذى يدفع إليه الإدراك الصحيح وبعد النظر والقدرة على التفطن إلى وجوب مسايرة تيار الزمن قبل أن يفاجئنا اندفاعه ويغلبنا موجه الطامى أو كما يقول ابن لرومى :

أمامك فانظر أى نهجيك تسلك  طريقان شتى مستقيم وأعوج

وعسى أن نؤثر القويم والله الموفق ؛

ابراهيم عبد القادر المازنى

---

إن منشأ شقائنا هو الخلاف الموجود بين أحوالنا ورغباتنا . بين واجباتنا ونزعاتنا ؛ بين الأنسانية والوطنية .

" روسو "

# التعليم وأثره فى الفرد والجماعة

(أذيعت فى البرنامج الثقافى لوزارة الشئون)

للأستاذ محمد عطية الابراشى

المفتش العام بوزارة المعارف

التعليم أول الواجبات ، وتعميمه أول الضروريات ، بذلك نادى المصلحون فى كل زمان ومكان ، وكان الأسلام فى مقدمة الأديان التى رفعت من شأن العلم والتعليم ، فقد نزلت أول سورة من الكتاب الكريم حاثة على التعليم والقراءة : " إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم " .

وقد عرفت الأمم قديما وحديثا ما للتعليم من خطر فى الحياة ، فأنفقت على نشره بسخاء وكرم ، واليوم تتمخض الحرب الحالية عما للعلم من قوة عظيمة فى السلم والحرب ، فرأينا ساسة الأمم الظافرة وزعماءها يرفعون صوتهم عاليا ، بضرورة الاستزادة من مناهل التعليم ، فأخذت من الآن تصل على مضاعفة اعتماداته ، وتحسين حال رجاله ، لذلك لم يكن عجيبا أن تحيا الشعوب بالتعليم ، وتستيقظ من سباتها ، وتتنبه من غفلتها ، ولقد دافع " بستالوتزى " عن تعليم الشعب فى سويسرة دفاعا حارا ، سطره له التاريخ فى صفحات خالدة ، فكان له ذكر حسن فى حياته وبعد مماته ، لا فى سويسرة فحسب ، بل فى العالم كله ، وسويسرة التى تنعم اليوم بحضارة زاهية ، ومدنية راقية ، إنما هى أثر جميل من آثار ذلك المربى العظيم .

ولما هزم نابليون " بروسيا " فى موقعة " جينا " وحطم قوتها لم يرفع تلك الأمة المهزومة من حضيض الذل والانكسار إلا مدارس الشعب وتعميم التعليم ، حتى لقد قال ( بسمارك ) السياسى الألمانى العظيم بعد الحرب السبعينية : " لقد غلبنا جارتنا بمعلم المدرسة " .

أى والله ، معلم المدرسة ، فهو حامل لواء الثقافة والتعليم ، ويعتقد اللورد ماكولى — وهو أديب وقاض انجليزى من القرن التاسع عشر — أنه قبل تعميم التعليم " باسكوتلندة " كان الشقاء كثيرا ، والجهل سائدا ، والكسل عاما ، والأخلال بالقانون منتشرا ، وكان المجرمون يعيثون بالأمن ، ويهددون حياة الناس فى كل وقت ، فكان اسم " اسكوتلندة " بعد سمرة وعيبا ، وكان اذا ذكر كرهه الناس ، وقابلوه باحتقار واستهزاء ، ولكن بعد أن

نفذ قانون التعليم العام ، وبدأ الأميون يتعلمون ، وأخذ الأطفال الذين بلغوا سن التعليم يذهبون جميعا الى المدارس ، أخذ شأن " اسكوتلندة " يسمو ويرتفع ، وأخذ الاسكتلنديون يكبرون فى أعين الأمم ، لرقيهم فى الأخلاق والآداب والتفكير ، بفضل التعليم .

هذا ولا يزال الهواء فى «اسكوتلندة» باردا كما كان ، ولا تزال الصخور الاسكوتلندية عارية جرداء . كما عرفها الناس من قبل ، ولا تزال مناظرها الطبيعية كما كانت فى غابر الأزمان ، ولكن ماذا حدث يا ترى ؟! الذى حدث أن الشعب قد تغير ، تغير بالتعليم حتى أضحى أعظم شعب فى العالم فى الذكاء والمثابرة ، وفى الجلد والخشونة والاقتصاد والصناعة ، والآن فقط اعترف العالم بفضلهم ، وعرفت فضائلهم ، فعلى أكتاف هذا الشعب المكافح الصبور بنيت أعظم امبراطورية فى العالم ، عقد لها لواء النصر فى حربين ، لم يعرف التاريخ مثلهما ، وفى القرن التاسع عشر كان الحكام المستبدون فى أوروبا وبخاصة روسيا — يخافون دائما تعليم سواد الشعب ، وكانوا يعتقدون أن العلم كالملح يكون مصلحا إذا أخذ منه مقدار ضئيل ، ويكون مفسدا إذا أخذ منه مقدار كبير ، كأن العلم مادة سامة فى رأى هؤلاء المستبدين .

ومن كلماتهم المأثورة : « علم الفقراء اليوم وغدا سيكونون ضدك » .

أما اليوم فقد برهنت التجربة ، وأثبت التاريخ فساد هذا الوهم ، وشعر العالم بأن التعليم هو خير وسيلة للنهوض بالعامة ورفع مستواهم ، فبالتعليم يعرفون كيف يسيرون فى الطريق المستقيم ، ويحكمون عقولهم فيما لهم وما عليهم ، ويميزون بين الحسن والقبيح ، والغث والسمين ، أما الجاهل فكثير الخطأ ، بعيد عن الجادة ومهيع الصواب ، وهو عرضة لكل من يؤثر فيه ، لأنه لا علم له ، ومن لا علم له لا عقل له يسترشد به ، فهو كالريح يميل حيث تميل ، وكالريشة فى مهب الهواء ، وكم أضر الجهلاء بأنفسهم ، ووسموا بلادهم بميسم العار .

وفى سنة ١٩٢٠ رأت الحكومة الإنجليزية أنها مثقلة بفادح الديون بعد الحرب ، ففكرت فى اقتصاد بضعة ملايين من الجنيهات ، فلم تجد سبيلا لتحقيق غايتها إلا إنقاص ميزانية التربية والتعليم فقوبلت بعاصفة شديدة من الاحتجاج والمعارضة من جميع المفكرين وأفراد الشعب ، وكان الجواب الحاسم " اقتصدوا فى كل شىء ، ومن كل شىء ، إلا من مالية التعليم " .

ومن هذا يتبين مقدار ثقة الشعب الانجليزى بالتعليم وأثره ، ومبلغ استعداده لتقديم أية تضحية فى سبيله .

وهنا يحق لنا أن نسأل : ما النتيجة التي حصلت عليها تلك الأمة من تعميم التعليم ؟ وإن نظرة واحدة إلى عدد المجرمين قبل تعميم التعليم وبعده يتبين بوضوح أثر التربية والتعليم في نفسية هذا الشعب، في أفراده وجماعاته، وينهض دليلا على ذلك ما قاله (فكتور هوجو) : "من فتح مدرسة فقد أغلق سجنا" تلك الكلمة التي يجب أن تكتب بحروف من نور على باب كل مدرسة ، وفي كل ميدان عام .

ولا غرابة فتى الجائزة يلتقط الأذكياء كالزهرة ويوضعون في المكان اللائق بهم وتفتح السبل في وجوههم ، كي تنتفع الأمة بذكائهم ، يتعلمون التعليم الابتدائي بالمجان ، ولا بد أن يحصلوا على جائزة للجانية في المدارس الثانوية ، وبعد أن ينتهوا من التعليم الثانوي قد يحصلون على جائزة للتعليم بالجامعة، وهذه الجوائز ميسرة لكل من أظهر ذكاء ، ولأضرب لكم مثلا باللورد « بركنهد » الذي كان من أكبر الوزراء العاملين في وزارة المحافظين في سنة ١٩٢٩ ، فقد نشأ بين أحضان أسرة فقيرة ، وحدث أن مات أبوه وهو طفل ، فعنيت والدته بتربيته ، وتربية أخوته بقدر ما استطاعت . وقد عرفت ما فطر عليه ابنها من ذكاء متوقد ، فعولت على أن تصل به إلى حيث يظفر بمجانية التعليم في جامعة (أكسفورد) ، وكان لها ما أرادت ، فقد نجح في امتحان الجامعة ، ونال الجائزة الأولى التي يتوقف عليها مصيره ومستقبله ، ولم يكن معه إذ ذاك من النقود ما يكفي رجوعه إلى بلدته ، بدأ يتعلم في الجامعة مع أبناء الطبقة الخاصة من الأمة وظهرت عليه مخايل الذكاء ، وعلامات النبوغ والمقدرة الخطابية في ذلاقة لسانه ، وبراعة منطقه وقوة حجته ، وفي حفل انتخابي سمعه الراحل " يوسف تشمبرلن " فأعجب به كل الإعجاب ، وسأله أن يقابله بعد الانتهاء من حياته الجامعية فقابله بعد سنتين ، وعندئذ عرض عليه الالتحاق بحزب المحافظين ، ففعل ، وثابر حتى وصل بعلمه وعمله إلى الدرجة التي كان يتمناها .

فلو لم يعط (اللورد بركنهد) فرصة التعليم لقبر ذكاؤه حيا ، وما انتفعت بلاده بذكائه وعبقريته ، فالتعليم الحق هو الوسيلة الوحيدة لإغلاق السجون، وهو الطريق الوحيد لرقي الفرد والجماعة، بل هو سر عظمة الأمم، ومظهر سيادتها وقوتها ، وقد خرج النبي صلوات الله عليه فيما يخرج له كل يوم، فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، وفي الثاني جماعة يعلمون الناس فقال : " أما هؤلاء فيسألون الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس ، وإنما بعثت معلما" . ثم عدل إليهم وجلس معهم ، وبذلك ضرب الرسول الكريم خير الأمثال في تشجيع التربية والتعليم ، والحث عليهما ، والاعتراف بفضل مهنة التعليم ، وقد علم الله نبيه دعاء يدعوه به فقال " وقل رب زدني علما " ، وكان الرسول صلوات الله عليه يقول " الناس رجلان

عالم ومتعلم ولا خير فى سواهما" . وقال : " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم" كما قال "كونوا للعلم دعاة ولا تكونوا له رواة" وفى هذا حث من النبى على تدبر العلم وفهمه ، ومعرفة وجه المنفعة فيه ، وتطبيقها على المصلحة العامة والخاصة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه " يا بنى تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم ، ان كنتم وسطا سدتم ، وان كنتم سوقة عشتم" ، وقال مصعب بن الزبير لابنه "تعلم العلم فان لم يكن لك جمال كان لك جمالا ، وان لم يكن لك مال كان لك مالا ، فالعلم زينة من لا زينة له ، ومال من لا مال له" ، وقال (شكسبير) " العلم هو الجناح الذى نستطيع أن نطير به الى السماء " وقد صرح أحد الكتاب الفرنسيين بقوله : " إن العالم سائر بنجاح نحو التفكير فى الإنسانية ومن المحال أن ترقى أمة من الأمم إلا بتعميم التعليم ، فالمدنية والحضارة والتقدم فى العلم ، والإبداع فى الاختراع من كل ما نراه بأعيننا فى الأمم الراقية نتيجة التربية العامة ، والتعليم المنتشر بين جميع الطبقات" .

وقال (جورج واشنطون) محرر أمريكا : "العلم هو السبيل الوحيد ، والأساس المتين لسعادة الجمهور" ولقد نقشت هذه العبارة الثمينة التى فاه بها (واشنطون) فى خطبة الوداع على قلب كل أمريكى وهى : "إن أول أمر عام هو أن تنهضوا بالمدارس لنشر التعليم العام" ، وقد كتب (توماس جيفرسون) الرئيس الثالث للولايات المتحدة بأمريكا "إن التعليم الذى سيعم كل طبقة من أبناء شعبنا من أدناهم إلى أعلاهم سيكون أول شئ يتعلق بالجمهور الذى أحبه ، وأفكر فيه ، إن الشعب الذى ينتظر أن يكون حرا جاهلا فى وقت واحد شعب ينتظر ما لم يحدث ولن يحدث ، فحيثما تكون الصحافة حرة ، ويكن كل إنسان قادرا على القراءة والكتابة تكن الديمقراطية آمنة" .

فبالتربية يستطيع الانسان أن يعرف ما يجب عليه نحو نفسه وغيره ، وبها ترقى الأفراد ، وبرقى الأفراد يرقى المجتمع ، وترقى الأمة .

ولقد قاسى (هوراس مان ، ومارى ليون ، وفرنسيس باركر) من المربين الأمريكيين كثيرا فى سبيل تعميم التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومدارس العامة بها اليوم هى المناهل العذبة التى يرتشف منها كل طفل ما هو فى حاجة إليه من العلم ، وفيها يتعلم الأطفال جميعا الحب والإخلاص لبلادهم ، فبين جدرانها تتحد الميول والنزعات وتسمو النفوس والأغراض ، وتقوم العادات والأخلاق ، وقد تعلم فى هـذه المدارس كثير من أطفال اسكوتلندة وويلز وانجلترة وأرلندة وفرنسا وألمانيا وروسيا وسورية ، ممن نزحوا الى تلك الأرض الجديدة ، فجعلتهم مدارس الشعب جميعا أمريكيين ، وغرست فى نفوسهم حب

وطنهم الثانى ، الذى اتخذوه مستقرا ومقاما ، فهم الآن يعدون أنفسهم أمريكيين ، لهم ما للأمريكيين وعليهم ما عليهم ، والفضل فى ذلك كله الى مدارس الشعب ، التى يتلاقى فيها كل طفل وطفلة من كل جنسية ودين وطبقة ، على أرض واحدة ، وتحت سقف واحد من غير تفريق أو تمييز .

وللمدارس العامة فى أمريكا مكان كبير فى قلوب أفراد الشعب ، والشعب ينظر اليها نظرة تقديس وإجلال وإكبار ، ويعتقد الأمريكيون جميعا أن بالتربية والتعليم تستطيع الولايات المتحدة أن تقود العالم فى الأفكار والاختراعات والصناعات ، لذلك نجدهم يدفعون ضرائب التعليم بقلوب راضية ، ونفوس مطمئنة ، ولا يعدونها حملا ثقيلا على أكتافهم بل يعدونها واجبا مقدسا نحو أمتهم ، التى يفخرون بالانتساب اليها ، والعمل على إسعادها ورقيها ، ولقد كشفت الحوادث التى انجلت عنها هذه الحرب أن الأمريكيين حقا قد ملكوا زمام العالم بهذا الاختراع الجديد ، الذى مكنهم من استخدام الطاقة الذرية .

وفى الولايات المتحدة لا ينظر دافعو الضرائب اليها نظرتهم الى صدقة من الصدقات ، بل يعدونها ضرورية لرقى الأمة وسعادة المجتمع ، ويثقون بأن سعادة الشعب تتوقف على ذكائه ، وتربيته تربية حقة ، ويعتقدون أن الانفاق على تعليمه أفضل الوسائل للغنى والثروة ، فالعمل المقترن بالجهل ليس بالرخيص ، بل هو غال دائما ، فكثيرا ما يتلف العامل الجاهل الآلة التى فى يده لجهله ، وهو فى الدوام فى حاجة الى من يراقبه ويلاحظه ، ويبين له طريق العمل ، وهو فى الغالب لا ذمة له ولا ضمير ، والجاهل لا يعرف كيف يستعمل أوقات فراغه فى كسب أمور نافعة . من إصلاح نفس ، أو جلب مسرة ، أو قراءة مفيدة ، أو استماع محاضرات أو مناظرات ، فيعتاد السكر والميسر ، والعنف والقسوة ، والاخلال بالنظام ، والثورة على القانون ، حتى يصبح خطرا عظيما وفسادا كبيرا .

أما العمل الذى يصحبه العلم والذكاء وحسن التصرف فقد أوجد فى أمريكا المصانع المختلفة ، وجعلها تنتفع بغاباتها الواسعة ، وبراريها الشاسعة ، وأوجد لها فرصا كبيرة للحصول على الأموال وتثميرها ، حتى أصبحت الولايات المتحدة أغنى أمم العالم ثروة ، وأعظمها علما وصناعة ، وأرقاها زراعة وتجارة .

وإذا نحن ذهبنا مرة أخرى نعدد فوائد العلم والتعليم وجدنا أنفسنا أمام قضية أدلة الاقناع فيها واضحة ، فمقدماتها من البدهيات ونتائجها أمور مسلم بها ، والله تعالى يقول : "هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع على التعليم عملا وقولا ، فمن ذلك أنه كان يطلق سراح أسرى الحروب إذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة ، وقال "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" ، وقال الغزالى "من أصاب علما فاستفاده وأفاده كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهى مضيئة" .

وقال بعض الحكماء "اطلبوا العلم من المهد الى اللحد" ، وقال افلاطون "التعليم أفضل شيء يملكه أفضل الرجال" .

وقال (مونتين) "الجهل أس الرذائل" ، وقال (فولر) "التعليم خير منحة يمكن أن تمنح" وقال (جيمس ماديسون) الأمريكى "إن حكومة تكسب حب الشعب من غير تعليم مقبول عند الجمهور لا يكون عملها إلا مقدمة لرواية هزلية أو مأساة أو مقدمة لكليهما" .

وقد كان من نتائج الحرب الكبرى الماضية أن تنبهت الأمم فى أمريكا وأوروبا إلى شعور جديد نحو التعليم ، فلما وضعت تلك الحرب أوزارها أخذت انجلترا تفكر فى الوسائل التى بها تنهض بالتعليم ، فبعد أن كان التعليم إجباريا الى الرابعة عشر ، مدت مدة التعليم الى الثامنة عشرة ، ورحبت البلاد بقانون التعليم فى سنة ١٩١٨ الذى وضع لرفع مستوى الجيل الجديد فى التربية والتعليم ، وقد تحملت هذه الأمة العظيمة فى سبيل ذلك المشروع عبئا ماليا ثقيلا أكثر بكثير من العبء الذى كانت تتحمله فى سبيل التعليم قبل تلك الحرب الماضية ، فوزارة المالية الانجليزية تدفع إعانة للتعليم أكثر من ثلاثة أضعاف الأعانة التى كانت تدفعها قبل سنة ١٩١٤ . وذلك لأن التعليم فى انجلترة أمر يهم الشعب والحكومة والجهات المحلية كل الاهتمام ، لأن كل فرد هناك يشعر بفائدة التعليم وأثره ، ولأمر ما قال الفيلسوف (أراسمس) "أعطنى إدارة التعليم وأنا أتعهد لك بقلب العالم" .

وما كادت هذه الحرب العالمية الثانية تتوقف فى أوروبا والشرق حتى أخذت الهمم والجهود الانجليزية فى تلك البلاد العظيمة تتجه اتجاها جديدا آخر نحو رفع مستوى التعليم

كأن الفرد العادى فى انجلترا لم يتعلم ، كلا ! ولكنها أمة ليس لغايتها فى التعليم نهاية . وكثيراً ما نسمع اليوم فى بلادنا تقداً مراً عن انتشار المستنقعات والأمراض المتوطنة ، وكثرة السائلين والعجزة ، وفاقدى البصر ، وعن فساد الأخلاق ، وكثرة الجرائم والحوادث ؛ وليس عندى من علاج إلا أن نعلم الأمة تعليما صحيحا ، فبذلك يرتفع المستوى الصحى والاجتماعى والخلقى ، وتتحقق تلك الاصلاحات عفوا بلا تعب ، فاذا أردنا الخير للأمة مخلصين جعلنا التعليم عاما شاملا فقراءها وأغنياءها ، ثم وجهنا عنايتنا بخاصة الى الفقراء ، لأنهم العمود الفقرى الذى تعتمد عليه الأمة ؛ يجب أن نعلمهم إذا أردنا أن تنهض البلاد ، وأن تتخذ مكانها بين أفراد الرعيل الأول من قافلة الأمم الحية؛ يجب أن نعلم الأمة حتى يقل عدد الفقراء ولا نسمح للأطفال بالعمل إلا بعد التعليم ، يجب أن نعلمهم حتى نعدهم لحياة سعيدة وعيش كريم ، يجب أن نعلمهم التعليم النظرى أولا ثم الصناعى ثانيا ، وليكن شعارنا جميعا : علموا الفقراء واليتامى والمساكين ، علموا الأمة كلها ، لا تغلقوا المدارس فى وجه أى راغب فى التعليم ، هيئوا الفرصة لكل من يتعلم ، أغرسوا حب التعليم فى نفس كل طفل أو طفلة ؟!

محمد عطية الابراشى

المفتش العام بوزارة المعارف

---

قال اعرابى : تعلموا الأدب فانه زيادة فى الفضل ، ودليل على العقل ، وصاحب فى الغربة ، وأنيس فى الوحدة ، وجمال فى المحافل ، وسبب إلى درك الحاجة .

ما يجب أن نفيده من الحرب :

# الإقبال على الزواج

للأستاذ عبد الحميد يونس

يمر الزواج بوصفه نظاما اجتماعيا واقتصاديا فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية بأزمة شديدة الخطر على كيان المجتمع عامة والأسرة بنوع خاص . فقد دلت الإحصائيات التى أخذت منذ نشوب الحرب الكبرى الأولى الى الآن على نقص متزايد فى مقدار الزواج وزيادة مضطردة فى حوادث الطلاق مما أدى بكاتب اجتماعى معروف هو " كالفرتون " إلى أن يؤلف كتابا عنوانه ( إفلاس الزواج ) ، ولسنا نريد أن ندافع عن الزواج فهو على الرغم من هذه الأزمة لا يحتاج إلى دفاع . وقد دلت الإحصائيات الأخيرة ، على أن مصر بمنجوة من هذه الأزمة الزواجية بصفة عامة ، فالتكافؤ بين عدد الجنسين قائم ملحوظ ، والإقبال على الزواج آخذ فى الزيادة والاضطراد .

ومن الحقائق الاقتصادية المقررة أن نسبة الإقبال على الزواج تزيد بزيادة الرخاء ، وبخاصة فى الأمم الزراعية ومنها مصر ، بل إن المواسم الزراعية كموسم الغلال أو القطن تحدد وقته ، والرخاء لا يدفع الرجل الأعزب بالإقبال على الزواج إذا قدر عليه فحسب و إنما يدفع بالرجل المتزوج أحيانا إلى معاودته .

ومن الحقائق المقررة كذلك أن الزواج أكثر فى القرى منه فى المدن ، وأن منه أقل فى القرى منه فى المدن ، وذلك لأن البيئة الزراعية أيسر والمطالب أقل والحياة أبسط والأبناء ثروة للآباء وليسوا عبئا على كواهلهم كما هو الحال فى المدن التى يصعب فيها إعالة الأسرة وتتعقد فيها سبل الحياة .

وليس من شك فى أن الحرب الأخيرة قد استحدثت فى مصر رخاء مصطنعا وأن هذا الرخاء قد أثر بدوره فى الكيان الاجتماعى للطبقات المختلفة وزعزع كثيرا من المقاييس وقلب كثيرا من الأوضاع .

ونحن نستطيع أن نقول إنه على الرغم من استيلاء الحكومة على المحاصيل الزراعية الأساسية وتثبيت أسعارها والتحكم فى إيجار الأراضى فان الريف أفاد بعض الفائدة من ظروف الحرب لزيادة الإقبال على المنتجات الزراعية لتغذية السكان والجند والمهاجرين ومن إليهم ، كما أن كثرة النقد المتداول أدى بدوره إلى زيادة القدرة الشرائية فى القرية إلى حد ما ، وبعد أن كانت القرية قبيل هذه الحرب أقرب ما تكون الى « القرية المهجورة » التى وصفها « أوليفر جولد سميث » فى انجلترا إبان القرن الثامن عشر لفرار أهلها الى المدن

باحثين عن العمل والقوت فى المصانع اصبحت تحتفظ بجانب ليس بالقليل من أهلها ، بل إن غير الريفيين أقبلوا على الأرض المزروعة فعلا والمستصلحة والقابلة للاصلاح استغلالا لحاجة البلاد الملحة إلى الغذاء والكساء وتوظيفا للاموال المكدسة فى بعض الأيدى . ونتج عن هذا أن زادت نسبة الإقبال على الزواج وارتفع الخط البيانى لهذه الزيادة ارتفاعا يكاد يكون مفاجئا بعد أن كان آخذا فى الهبوط . ولكن هذا الإقبال على الزواج نحبه — كما كان متوقعا — تعديل فى بعض مراسيم الزواج تمس مظهره ولا تمس جوهره . هذا التعديل هو الزيادة الملحوظة فى المهور التى أحدثتها زيادة الأسعار وارتفاع مستوى المعيشة ، ونقص "الجهاز" الذى تدخل العروس به لنقص المعروض منه فى السوق وغلاء ثمنه ، ثم الاقتصار الى حد شبه الاستغناء فى الحفل الذى يتم به الاعتراف الاجتماعى بالزواج ولم يكن أهل الريف قبل ذلك قد أخذوا بسنة المتعلمين المتوسطين من أهل المدينة فى الاستغناء عن الحفل بجرد الإعلان عن الزواج .

وأول ما نلاحظه على هذه الحركة الزواجية أنها تتبع حالة الرخاء ، تزيد بزيادته وتنقص بنقصانه ، وأن المحافظة على نسبة الإقبال عليه فى الريف المصرى والعمل على زيادتها يستتبعان من غير شك العمل على ترقية أسباب الحياة فى الريف ومضاعفة الثروة الزراعية للفلاحين وتجميل الحياة فى القرية حتى يستطيع الشاب من الأوساط أن ينشىء لنفسه أسرة يقوم على إعالتها دون حرج أو ضيق . ولسنا من هؤلاء الاجتماعيين الذين يقفون عند القرينة المصرية ويرون ميل أهلها الفطرى إلى الزواج والإنجاب دون أن يذهبوا إلى أن هذا الميل قد أصبح زائدا عن الحاجة الزراعية مما يؤدى بطبيعة الحال إلى اكتظاظ الريف بساكنيه من ناحية ، وزيادة وفيات الأطفال من ناحية أخرى ، واشتداد هجرة الريفيين إلى المدن من ناحية ثالثة .

ونحن نرى أن خير علاج نتقى به التقلقل الذى أحدثته الحرب فى شئون الأسرة أن تعين الحكومة فى تشريعاتها الخاصة بالزواج الحد الأعلى للمهور . وبهذا نقضى على الزيادة غير المعقولة فى المهور التى أدى اليها الغلاء المصطنع فى ظروف الحرب الاستثنائية . ولسنا نريد أن نخوض فيما يخوض فيه بعض الباحثين من أن المهر أثر من آثار « الزواج بالشراء » التى كانت تمارسه الجماعات البدائية ، وهكذا نكون فى الوقت نفسه قد حافظنا على ركن من أركانه ولم نعمل على المساس بشعيرة من شعائره .

ولا يغرب عن البال أن هذا الاجراء يجب أن يكون مصحوبا بالمحافظة على هذا التقشف الذى استحدثته الحرب بالتخفف من "الجهاز" والاقتصاد فى الحفل أو الاستغناء عنه بالاعلان البسيط الذى يتم به الركن الثانى من أركان الزواج وهو الاعتراف الاجتماعى .

بيد أن هذا كله لا يعفينا من حماية الزواج من غير القادرين عليه الاكفاء له المستعدين لاحتمال تبعاته وذلك باختبار الراغبين فيه من الناحية الصحية والمالية والخلقية . وقديما كانت الجماعة تختبر القادرين على الزواج باقتناص الرءوس البشرية أو الوحوش أو احتمال ضربات السوط .

وقد تغيرت النظرة الآن وأصبحت الدولة قادرة على الكشف الطبي على الخاطبين، مسئولة عن إيجاد عمل لعاطليهم والمحافظة على عمل غيرهم . ولنذكر أنها وضعت فى الماضى الحد الأدنى لسن الزواج وحافظت عليه وعاقبت من لم يتبعه مع أن زواج الأحداث كان قبل هذا القانون مباحا شائعا فى الريف المصرى . وثمة مسألة أخرى على جانب كبير من الأهمية هى حماية سوق الزواج من الذين يتسورونه من الطريق الأسفل ويخذونه متعة وملهاة . يتخلصون من زوجة ليبنوا بأخرى ، مع أن التعدد نزلت به الأديان وسنته الشرائع فى حدود لا تعرف الهوى والعبث .

وإذا انتقلنا إلى المدن وأرباضها فإننا نجدها قد اكتظت بساكنيها وممن نزح إليها من أبناء الريف ، ذلك لأن المصانع والأعمال التى استلزمتها الحرب وضروراتها اجتذبتهم إليها، فوجد العاطلون العمل الذى ينشدون ، بل إن الكثيرين من غير العاطلين تركوا ما بأيديهم وانخرطوا فى هذه المصانع، كما أن عددا من الأحداث والصبيان تركوا حوانيتهم وحرفهم ووصلوا أنفسهم بالمصانع العسكرية أو المدنية التى اقتضتها ضرورات الحرب المؤقتة طمعا فى أجر أعلى وظروف عملية أحسن .

ونتج عن هذا بطبيعة الحال أن كثر النقد المتداول وارتفع مستوى المعيشة واشتدت قدرة من لم يكن قادرا على شراء الضرورى بل وما هو فوق الضرورى ، فاضطربت المقاييس وتبلبلت الأوضاع وأصبحت قدرة المرء على الكسب هى المعيار الذى يقاس به فى نظر الجماعة، وتضاءلت إلى جانبه المعايير المعنوية التى كانت تقوم على العلم أو الخلق أو الطبقة فقضى ذلك أو كاد على العضو الأثرى فى المجتمع المصرى الذى نسميه " روح الوظيفة " . وكان من آيات تغلغلها فى المجتمع المصرى إلى بداية هذه الحرب أنك إذا طلبت إلى شابين أحدهما موظف والآخر فى الحياة الحرة أن يخطبا فتاة واحدة فإنك كنت تدهش عند ما ترى أن أسرة هذه الفتاة كانت تفضل الموظف ولو كان إيراده أقل من إيراد زميله بكثير .

وأصبحت بعض الأسر لا ترى غضاضة فى أن تخطب ابنتها إلى غير موظف فى الحكومة .

وبديهى أن هذا الرخاء كاد يقضى على الأزمة الزواجية التى كانت تعانيها المدينة المصرية وإن زاد المهر — كما حدث فى الريف — وقل الجهاز .

ولكن المدينة تختلف عن القرية فى أن نسبة السن قد نقصت وأعيد إلى الحفل مظهر البذخ لغلبة غير المتعلمين على المجتمع المدنى .

والمؤسف أن ما جبل عليه المصرى من عدم الاحتفال بالغد جعل أولئك وهؤلاء ممن أفادوا من كثرة الأعمال المستحدثة والنقود المتداولة ينفقون عن سعة ، وكلما تراخت أعوام الحرب ظنوا أن ظروفها لن تزول ، فما ادخروا شيئا ، والذى يخشاه الاجتماعيون أن تصاب هذه الطائفة بالتعطيل وأن تنكمش سوق العمل وتنخفض أجورها ومعظمهم قد أقبل على الزواج ومنهم من تزوج مثنى وثلاث .

ولا علاج لهذه الحالة فى نظرنا إلا الإبقاء على الإنتاج الكبير وتثبيت الأجور حتى تحتفظ الأسر التى تكونت فى غضون الحرب بكيانها وحتى يظل الرسم البيانى للزواج على ارتفاعه مع تحديد المهور وتقليل الجهاز والاستغناء عن الحفل وحماية الزواج من غير القادرين عليه أو العابثين به .

ولكن هناك طائفة أثقلت كاهلها الحرب على الرغم من جميع الإجراءات التى اتخذت للتخفيف عنها ، تلك هى أصحاب الأجور الثابتة والمرتبات الجامدة التى ظلت على حالها رغم ظروف الحرب الاستثنائية وارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعا لم تعد هذه الأجور وتلك المرتبات تتكافأ معه ، والزيادة التى أضيفت إليها لم تعمل على الاحتفاظ بمكانتهم فى المجتمع ترجاهم من موظفى الحكومة ، فساعد ذلك على زوال الحواجز التى كانت بين طبقتهم وغيرها من الطبقات ، وقلل من قدرتهم القديمة على الترف ، وقد كانوا فى الأصل من المنصرفين عن الزواج لتعذر تحقيق مطالبهم وتعقد أساليب حياتهم وتعدد ملاهيهم فازدادت تبعا لهذه الحالة رغبتهم عن الزواج وتعذر بناؤهم للأسرة مع الاحتفاظ بمستواهم فى الحياة الاجتماعية ، ولولا استحداث أعمال جديدة استلزمتها ظروف الحرب ، وإن كانت الأجور عليها كالأجور ما قبل الحرب ، ولولا تراخى بعض الأسر فى مطالبها لاستفحلت أزمة الزواج بين هذه الطبقة واستحال حلها . ومن الوسائل المحمودة التى لجأت إليها الحكومة فى غضون هذه الحرب والتى يجب علينا أن نحافظ عليها وأن نستزيد منها هى وضع قاعدة العلاوة الاجتماعية لصغار الموظفين والمستخدمين والعمال ، فالأصل فى الأجر أن يكون مكافئا للعمل لكنه فى هذه الحالة يجب أن يكون مكافئا للعمل ولحالة العامل الاجتماعية .

وغنى عن البيان أن هذه العلاوة يجب أن تتعدل من ناحيتين :

الأولى : أن يفيد منها المتزوج ، وإن لم ينجب ، وذلك لأنه يعول شخصا آخر من حقه على المجتمع ألا يغفل حسابه .

والثانية : أن تزيد قيمتها حتى تتكافأ مع مستوى المعيشة ومكانة هذه الطبقة ، ولا بأس من أن يتحمل الأعزب القادر فى المجتمع المصرى الراغب عن الزواج بعض نفقات هذه العلاوة لأنه يتخلى عن واجب اجتماعى ويتحرر من أعباء حياته الحياة لاحتمالها والقيام

بمسئولياتها ، ولكن هذا لن يؤتى ثماره حتى تعيد الهيئة الاجتماعية النظر فى أجور هذه الطبقة ، وقد انقضى الزمن الذى كان يطالب فيه بإنقاص الأجور و يقاس الرخاء فيه بهبوط الأسعار ويجب أن تصحب الدعوة إلى التأمين الصحى دعـوة إلى التأمين الاجتماعى . . تدعو إلى الزواج وتعين العائل وتحافظ على عمل صاحب الأسرة . .

ويلاحظ الاجتماعيون أن مصر تمر بظروف تشبه إلى حد ما ظروف بعض الدول الأوربية بعيد الثورة الصناعية وبخاصة فى زيادة ضغط المرأة على سوق العمل ، فقد دلت الإحصائيات الأخيرة على شدة الإقبال على تعليم البنات وفق برامج البنين إلا فى معاهد يسيرة ، كما أن الحاجة الملحة إلى الأيدى العاملة فى سوق العمل التى قد فتحت الباب على مصراعيه للمرأة فى العمل غير الفنى ، وأصبحنا نرى طبقة من العاملات تشبه تلك الطبقة التى كانت تعرف فى انجلترا بطبقة " صاحبات الجوارب القصيرة " يعملن فى مصانع الأزرار والنسيج والحياكة وغيرها .

وسيؤدى هذا الضغط بطبيعة الحال إلى زيادة الإستقلال الإقتصادى للمرأة العاملة ، وقد يضطرب بذلك الميزان الاجتماعى فلا تصبح المرأة غير المتزوجة أو العانس إمرأة متعطلة كما كان الحال فى الإقتصاد الاجتماعى القديم ، لأن وظيفة هذه العاملة لم تعد قاصرة على الزواج وقد يكسبها هذا الإستقلال شيئا من المنعة الإجتماعية يمارنها على حسن الإنتخاب الطبيعى ، وقد يصرفها جملة عن الزواج وتبعاته الجسام .

والغالب أن هذه الطبقة ستساعد فى الإقبال على الزواج كما كان الحال بين المشتغلات فى التعليم والطب ، ذلك لأنهن سيقمن عن أولياء أمورهن بتجهيز أنفسهن للزواج ، كما أن الجنس الآخر كاد يتخلص من النظرة القديمة وأصبح يفضل العاملة على غير العاملة تفضيله للمالكة على غير المالكة لتعاون وإياه على إعالة الأسرة ومواجهة ضرورات الحياة . . .

والخلاصة أن مصر لاتمر بأزمة زواجيـة بل إنها على العكس قـد أفادت من ظروف الحرب فى الإقبال على الزواج إقبالا لم يسبق له مثيل من قبل ، ولكن الذى ينبغى أن نعنى به وتهيأ لمواجهته ما قـد يصيب الأسرة من تقلقل واضطراب نتيجة لانتهاء الحرب وزوال مؤثراتها .

وقد سبق أن بينا أن الإقبال على الزواج يتناسب مع حالة الأمة الإقتصادية تناسبا طرديا يزيد بزيادة الرخاء فيها وينقص بنقصه ، فعلينا أن نجعل الرخاء الذى استعادته الحرب حقيقيا بعـد أن كان مصطنعا وأن ندعو إلى الزواج ونرغب فيـه ونفضل المتزوج على غير المتزوج فى سوق العمل ، ونفضل العائل على غير العائل فى الأجور حتى نحافظ على مثل الأمة الإجتماعيه والخلقية ما

عبد الحميد يونس
عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية

# العمال فى مصر والخارج

للاستاذ عبد العزيز عبد المجيد

انعقد فى باريس خلال شهر أكتوبر مؤتمر نقابات العمال الدولى ، واشتركت فيه نقابات وحكومات من جميع أمم العالم تقريبا . وقد مثلت فيه مصر ، مثلت حكومتها كما مثلت أيضا نقابات العمال المصرية . ومن الأغراض الرئيسية التى عقد من أجلها المؤتمر إنشاء اتحاد عالمى لنقابات العمال ، تكون له فى المستقبل كلمة مسموعة وقرارات نافذة المفعول فى كل الأمم الممثلة .

والذى يجدر بنا أن نلاحظه فى اتجاه هذا المؤتمر هو روح الديمقراطية التى تسود اجتماعاته وقراراته . ذلك لأن العمال فى أية أمة من الأمم — صناعية أو زراعية — هم السواد الأعظم من السكان ، فهم إذا قوة لايستهان بها فى السلم والحرب ، وهم جمهرة الشعب ، وهم يستطيعون بتعاون نقاباتهم وبقراراتهم أن يضعوا حدا لروح الدكتاتورية القومية ، ولروح الاستعمار العالمية ، وللروح الحربية ، لأنهم الطبقة التى تقاسى الشدة عادة فى ظل الدكتاتورية وفى أوقات الحروب .

ومصر بلاد زراعية ، وأغلب سكانها فلاحون لايملكون شيئا من الأرض ، أو يملكون القليل منها ، فهم فى الواقع عمال بالمعنى العام الذى يشمل كل من يعمل بيده نظير أجر فى الصناعة أو التجارة أو الزراعة . ومع ذلك يمكن القول بأنه لم تظهر بمصر حركة العمال الصناعيين إلا منذ بدء الحركة الاقتصادية القومية بانشاء بنك مصر ومؤسساته المختلفة . فمن ذلك الحين كثر عدد العمال فى البلاد ، وتنوعت حرفهم ، وأخذوا يكونون لهم نقابات على غرار النقابات العمالية التى تكونت فى البلاد الأوربية . وواضح أن الغرض من إنشاء هذه النقابات هو ضمان مستوى مناسب للعمال من حيث سلامة الجسم والعقل ، والصحة والعافية والأجور ، وظروف العمل ، والراحة . وقد تكونت فى مصر مجموعة من النقابات كنقابة عمال السيارات ، ونقابة عمال الترام ، ونقابة عمال شركة الغزل الأهلية ، ونقابة الحمالين وغيرها . ولكن كثيرا من العمال يعملون من غير أن ينتموا إلى نقابة من النقابات ، وهم مع ذلك فى حاجة إلى قانون يحميهم ضد صاحب العمل . وقد تنبهت الحكومات المصرية المختلفة إلى ضرورة حماية العامل ، فأنشأت مصلحة للعمل ، ومكتبا لتوظيف العمال ، واستصدرت عددا من القوانين لتنظيم نهضة العمال فى البلاد كقانون عقد العمل الفردى ، وقانون إصابات العمال ، وقانون تأمين العامل ، وكذلك أعادت إنشاء مجلس العمل الاستشارى الأعلى الذى يمثل فيه العمال كما يمثل أصحاب الأعمال .

ثم سبقت الأمم الأوربية مصر فى تنظيم نهضات العمال وحمايتهم ، وذلك لأن نمو الصناعات وانتشارها باختراع البخار والكهرباء وتسخير القوى المحركة غير البشرية ظهر فى تلك الأمم قبل مصر . ونحن نعتبر أنفسنا مبتدئين إذا قورنا فى نهضتنا العمالية ببلاد كانجلترا مثلا ، تلك البلاد الصناعية التى تتوقف حياة سكانها على ما تصدره من بضائع مصنوعة وما تستورده من أغذية ومواد خام . فمن مظاهر عناية انجلترا بالعمال أن بها وزارة خاصة بالعمل هى ، وأن حزب العمال هنالك يتمتع بنفوذ سياسى كبير حتى آلت إليه الأغلبية فى الانتخابات لأخيرة التى أسفرت عن قيام حكومة حزب العمال[1] وللعمال فى انجلترا قوانين مقررة تنظم شؤونهم ، وإجازة سنوية رسمية تعترف بها الحكومة وتحتفل من أجلها الدواوين والمصالح ، هى يوم أول مايو ، وفى الولايات المتحدة يوم إجازة رسمية للعمال هو الاثنين الأول من شهر سبتمبر .

ونحن هنا فى مصر نشعر بأن هذه الحرب الأخيرة قد زادت من عدد العمال فى البلاد ، وخلقت منهم أنواعا مختلفة .

وقد تنبهت الحكومة الى ما سيحدث نتيجة لاستغناء السلطات العسكرية عن هؤلاء العمال ، فأخذت تدبر لهم وسائل العمل ، وتوجيههم بالتدريج الى الشركات والمصانع :

ولما كانت مصر مقبلة الآن على عهد صناعى جديد يشمل كهربة خزان أسوان و بعض الخطوط الحديدية ، ومشاريع فى برنامج ضرورى من الإصلاح كبناء الطرق ، وردم البرك ، و إصلاح المجارى والتوسع فيها ، والنهوض بمشروعات الرى والصرف ومياه الشرب ، و بناء المدارس والمستشفيات ، وكان مستقبل العمال فى مصر يدعو للتفاؤل . والبلاد ما زالت فى بكر نهضتها الصناعية ولم تستغل بعد كل مواردها الاقتصادية . ولا بد من أن نلجأ الى هذا الاستغلال حتى نضمن لسواد الشعب مستوى مناسبا من الحياة المادية والاجتماعية .

و إنى وأنا أكتب الآن محييا نهضة العمال فى مصر ، وراجيا لها كل توفيق أستبيح لنفسى أن أسجل بعض الملاحظات على حالة العامل فى مصر كما هى الآن :

١ — الإعداد : كنت ذات مرة فى صالون حلاق بانجلترا فدار بيننا الحديث عن حياة العمال وأجورهم وأعمالهم ومؤهلاتهم . فتبينت من حديث الحلاق أنه ألمانى رحل

---

(١) يرجع تكوين هذا الحزب الى ديسمبر سنة ١٩٠٠ عقب مؤتمر عقد من اتحادات العمال والهيئات الاشتراكية المختلفة فى البلاد . وقد أطلق عليه اسم اللجنة الممثلة للعمال . وفى ذلك المؤتمر أعلنت الغاية من تكوين هذه اللجنة وهى أن تكون هيئة مميزة للعمال فى البرلمان ، ويكون لها قوة فعالة وسياسة واضحة متفق عليها . ومما تتضمنه هذه السياسة استعداد العمال للتعاون مع أى حزب سياسى يعمل لاستصدار تشريعات فى صالح العمال .

إلى انجلترا ، وأن قانون العمل فى بلاده لا يسمح لأى عامل أو صانع أن يبدأ حرفة أو صنعة إلا بعد ان يجتاز امتحانا رسميا تشرف عليه الدولة . ومعنى هذا أن باب العمل مفتوح لنوع خاص من العمال هو من ثبتت صلاحيته بعد الخبرة والامتحان . ولا يخفى ما لهذا القيد من أثر فى جودة إنتاج العامل والارتفاع بمستوى العمل نوعا وكما . فهل أدركنا نحن فى مصر قيمة هذا الاعداد؟ حقيقة عندنا عدد من المدارس الفنية ، الصناعية والزراعية والتجارية ، ولكن أغلب عمالنا فى مصر يتعلمون مهنهم بالممارسة ، ويكفى " الصبى " أن يمضى مدة من الزمن عند " الأسطى " حتى يعرف حرفته الجديدة ، ثم يبدأ فى مزاولتها كعامل مستقل ، نجار أو سباك أو خياط أو حلاق أو زجاج أو حذاء . ومن الطبيعى أننا لا ننتظر لصناعتنا نهوضا اقتصاديا قائما على استخدام النظريات العلمية ، فى هذا العالم الذى أساسه المنافسة الاقتصادية ، إلا إذا أعددنا العامل . فكيف السبيل إلى هذا الاعداد ؟ الأمية لا تزال قائمة وما لم نكافح الأمية كفاحا ناجحا وننتصر عليها لا يمكن أن ننظم أى دراسات مهنية ، لأن الدراسات المهنية الحديثة أساسها القراءة والكتابة والحساب . فالعامل الأوربى يعرف القراءة والكتابة قبل أن يبدأ فى تعلم حرفته وممارستها . وإذا فلا بد أن ننظر الى إزالة الأمية كعامل أولى فى تحسين مستوى العامل المصرى ، ولا بد أن تسير مكافحة الأمية عند العمال مع التعليم المهنى جنبا بجنب ، وأن يكون ثمة مستوى مقرر من الإجادة يجب أن يصل اليه العامل فى حرفته قبل أن يزاولها .

٢ — الخلق العمالى : يعوز العامل عندنا هذا النوع من الخلق الذى يجعله على وفاق ووئام مع صاحب العمل ، ومع رئيسه وزميله وكل من يتصل به . ولعل للقارئ تجارب مثلى سبب فيها العامل كثيرا من المكدرات بسوء معاملته . فقد تكل إلى نجار مثلا صنع دولاب ، وتتفق معه على نوع خاص من الخشب والدهان ، وعلى يوم خاص لإنجازه . ولكن لشد ما يضايقك إهمال هذا النجار وعدم احترامه للاتفاق ، فهو لا يستعمل الخشب أو الدهان المتفق عليه ، وهو قد يخلف الميعاد مرة ومرة من غير عذر وجيه أو مشعور بالمسئولية وقد تضطر أخيرا إلى استرجاع ما سبق أن تكون قد دفعته من عربون . وربما تترك العربون عجزا عن استرداده بطريق ودى . وقد تتفق مع سباك على أن يجىء إلى منزلك لإصلاح ماسورة فى ساعة معينة ، ثم تنتظر فى الميعاد المحدد ولكن من غير جدوى . وقد يجىء ولكن فى يوم آخر ومن غير ميعاد محدد ثم هو لا يعتذر عن إخلافه الميعاد السابق . وإذا ما قام بالعمل المطلوب أداه أحيانا فى غير أمانة فنية فتلجأ إلى غيره لإصلاح ما أفسده الأول . وقس على هذين المثلين الكثير من الأمثلة فى حياتنا اليومية مع العمال والصناع . فهل يلام العامل أو الصانع على هذا النقص الخلقى ؟ نعم ولا ، أما نعم فلأنه هو المسئول عن

سلوكه ، وأمالا ، فلأن ثقـافته العالية وتكوينه الأخلاقى كعامل لم يصل به بعد إلى فهم واجباته ، وإدراك تبعاته ، بقدر ما يفهم حقوقه . فهو إذا معذور إذا وجدنا فى سلوكه مواضع ضعف .

٣ — الثقافة العالية . كثيرا ما يقال عن العامل المصرى إنه مقلد ماهر . وهو قنوع بما يصل إليه من مستوى فى عمله وإنتاجه من غير طموح للتحسين والتجديد والإبتكار . وفى أوروبا نجد نهضات العمل من حيث الفن والإنتاج فى تقدم مستمر . وبذلك يمكن الاحتفاظ بالسوق فى وسط هـذه المنافسات الاقتصادية وليست الثقافة العالية مقصورة على الناحية الفنية بل هى تشمل اتساع الأفق العلمى والأدبى والاجتماعى ، ومعرفة العامل ما عليه من واجبات نحو صاحب العمل ، ونحو زميله ، ونحو أسرته ، ونحو نقابته . ويؤسفنى أن أرى العامل المصرى محروما حقا من وسائل الثقافة العالية . ولكن الأمم الأوروبية قد فطنت منذ عهد بعيد إلى ضرورة هذه الثقافة فأعدت دراسات منتظمة للعمال لتجديد معارفهم وتهذيبهم ، وأعدت لهم دراسات مسائيـة ونظمت لهم محاضرات يدعى إليها مشاهير المحاضرين ، كما نظمت لهم اجتماعات للبحث والمناظرة ودرس شئونهم الثقافية والمهنية ، وهيأت لهم أفلاما تعرض حياة العمال فى البلاد الأخرى .

فما نصيب العامل المصرى من كل هذا ؟

إن الذى يبدو لى من نهضة العمال عندنا بمصر هو أن العناية فيهـا موجهة إلى كسب حقوقهم التى تضمن لهم حياة مادية معقولة . ولكنى أود أن أشير هنا إلى أن من لا يعرف واجباته لا يعرف كيف يستفيد من حقوقه . وعلى العمال فى بلادنا واجبات . ونحن مسئولون معهم على أن يدركوا قيمة ما عليهم من واجبات حتى يطالبوا بحقوقهم عن جدارة . فإلى قادة هـذه النهضة العمالية أوجه النداء : أن تفقدوا العـامل ووجهوه فى مهنته وفى سلوكه ، وارفعوا من مستواه المهنى حتى لا يقـال إن مـا تمتع به من حقوق أكثر ممـا يقوم به من واجبات »

عبد العزيز عبد المجيد
المدرس بمعهد التربية العالى

# المذاهب الاجتماعية والاقتصادية العظمى

## ٢ — نظـــرة عامة

للدكتور محمد غلاب

لقد بسطنا فى الفصول السالفة مشكلة الملكية والعمل وما تفرع منها مع لزمن من معضلات اقتصادية واجتماعيـة تختلف أهميتها كثرة وقلة باختلاف نتائجها ، ثم عرضنا فى الكلمة الأخيرة للمذاهب الاجتماعية العظمى التى تشعبت من مبادئ اقتصادية ، فأبنا أنها قسمان متعارضان يشغل كل منهما طرفا مقابلا لما يشغله الآخر من حيث النظريات والأسس التطبيقية والنتائج الفعلية فى الميادين المالية والعمرانية ، وقد أسلفنا أن الطرف الأول منهما يدعى بمذهب الأحرار وأن الثانى شعبتان متفقتان فى بعض المبادئ مختلفتان فى بعضهـا الآخر ، وهما شعبتا الشيوعية والاشتراكية . ولمـا كنا قد بسطنا فى الفصل السالف مذهب الأحرار وأبنا ماله وما عليه ، فقد وجب علينا أن نلم اليوم بشعبتى الطرف المعارض . وينبغى أن نقرر بديا أن البـاعث لنا على جعلهما شعبتين من طرف واحد هو اتفاقهما فى مبدأ وجوب هدم الأنظمة الحاضرة لعدم صلاحها فى نظرهما للمجتمع واستبدالهما بغيرها أدنى منها الى العدالة وأقرب الى تعميم النفع فى الإنسانية إلى آخر ما تزعمانه ، ولكننا إذا أغضينا عن هـذا الاتفاق فى وجوب الهدم ألفيناهما مذهبين متباينين ، لكل منهما طابعه الخاص ومميزاته الشخصية . ولهذا يؤسفنا كثيرا ما نشاهده فى مصر من خلط الكتاب الذين يزجون بأنفسهم فى ميادين معالجة هـذه المشكلات فى الصحف ، وهم لا يكادون يتبينون الفروق البارزة الملموسة بين الشيوعية والاشتراكية ، ولعل هذا الخلط من الكتاب الذين يعرضون لما لا يجيدون هو السبب فى تخبط الرأى العام فى الحديث عن هذه المذاهب تلك الحيثة الأسيفة التى يغمرنا تيارها فى هـذه الأيام دون أن يتعقلها الكثيرون منا أدنى تعقل ، فمن توحيد الشيوعية والاشتراكية ، إلى المزج بين الديموقراطية والاشتراكية ، إلى الخلط بين هذه الأخيرة وبين مبادئ الإسلام ، الى الجزم بأن تغيير نظام توزيع الثروة هو عينه تنفيذ شعيرة الزكاة الاسلامية مادام أن كليهما أخذ من الأثرياء وإعطاء للفقراء ، إلى التخبط بين المساواة فى الحقوق والواجبات وبين إلغاء الطبقات أو بين العدالة القانونية والعدالة الاجتماعية وما الى ذلك من التعثر فى ثياب الاحكام الخاطئة ومتابعة الأوهام الضارة .

ونحن لا نرتاب فى أن هؤلاء المواطنين الأخيار لو عرفوا حقائق هـذه المذاهب وما تنطوى عليه من مبادئ وما ينجم عن تطبيقها من نتائج لاحتاطوا فى أحكامهم وتريثوا فى دعاياتهم ، ولتجنبوا الخلط بينها وبين المبادئ الإسلامية ، ولتدبروا على الاندفاع فى هذه التيارات قبل استكناه دخائلها .

هذا كله من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نرى أن هذين الطرفين المتعارضين: طرف الأحرار من ناحية وطرف الشيوعية والاشتراكية من ناحية ثانية هما التياران اللذان يتجاذبان العالم اليوم ويتنازعان البقاء فى الفوز بأكبر عدد ممكن من أممه الغالبة والمغلوبة ، فبينما نشاهد الولايات المتحدة — وموقفها الاقتصادى زاهر هنيء كما نرى — تعتزم العودة الى مبدأ الأحرار الذى كان سائدا فى بلادها قبل الحرب والذى لم يكن عدولها عنه مؤقتا إلا خضوعا لضرورة الأحكام العرفيـة ، ونشاهد كذلك أن أرباب الحل والعقد الاقتصاديين فيهـا يجزمون بأن هـذا هو المنهج الوحيد الذى يمكن سلوكه للوصول الى النجاح والسعادة . على حين نرى أن أكثر شعوب أوروبا — وحالتهـا الاقتصادية هى على مانعلم من الفاقة التى بلغت حد الحروجة — قد أخذت تلتجئ الى الحكومات وما تملكه من تشريعات خاصة عنيفة عسى أن تجد فيها سلامتها من هلكة الفقر رغم ما فى تلك التشريعات من عدوان على الحرية الفردية .

وأياما كان فسنبدأ اليوم بحثنا بعرض المذهب الشيوعى معلنين أننا سنتناوله من حيثيته الاجتماعيـة فحسب ، معرضين عن جانبه السياسى الذى له اعتبارات أخرى ليس فى مجـلة الشؤون الاجتماعية ميدان لهـا ، وإليك البيان :

## المذهب الشيوعى

لقـد ظهرت الشيوعية كحدث من الأحداث الاجتماعية فى أكثر العصور التاريخية ، ففى أسبارتا يشير اليها " ليكورجوس " فى تشريعاته إشـارات جلية وإن لم تكن عامة . وفى جمهورية أفلاطون نلفى الدعوة اليها واضحة والتبشير بها قويا شـاملا، وإن كان قد تنبه بعد نضوجه إلى بطلان نظريته فيها وأعلن أنها وهمية غير ممكنة التحقيق وعدل عنها فى كتاب " النواميس " الذى يمثل أدق آرائه وأكثرها رصانة وثباتا . وفى فارس نشاهد "مانيس" يتخذها أساسا من أسس فلسفته وينادى بوجوب تعميمها كوسيلة من وسائل القضاء على الشر المنتشر فى الإنسانية . وفى القرون الأولى بعد المسيح نرى آباء الكنيسة يحضون عليها باسم العدالة والإنصاف، وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر نجد "توماس موروس" فى انجلترا، و "فينيلون" فى فرنسا، و" كامبانيلا " فى إيطاليا يقومون بجهود قوى فى سبيل إذاعتها بين جميع البيئات التى يمكن أن تسمع أصواتهم . وفى القرن الثامن عشر نرى "بابوف" و" موريلى " فى فرنسا يرسمان الشيوعية فى صورة فاتنة خلابة ويدعوان الآونة التى تشمل فيها العالم كله باسم العصر الذهبى البدائى الذى كان يفيض السعادة على الجميع قبل أن تفسد البشرية .

غير أنه ينبغى أن نعلم علم اليقين أن كل هؤلاء الفلاسفة والمشرعين والمصلحين النظريين لم يكونوا من رجال الاقتصاد ولا من علماء الاجتماع بالمعنى الحديث الدقيق لهذه الكلمة ، ومن ثم يجب علينا أن ننبه إلى أن فكرة تسيير الجماعات البشرية بنواميس طبيعية تسودها سيادة تامة كانت بعيدة عن أذهانهم كل البعد ، وإنما كانوا جميعا يدعون إلى هذا المذهب باسم المثل الأخلاقى الأعلى ، وهو تحقيق العدالة التى كان كل واحد منهم يدركها إدراكا ذاتيا خاصا ، لا موضوعيا تاما ، فنشأت عن هذا للعدالة صور نسبية أو اعتبارية ، وفوق ذلك فإن نظراتهم كانت مقصورة على بعض جوانب المسألة دون بعضها الآخر فلم يحيطوا علما بالنتائج الخطيرة المترتبة على تطبيق هذه المبادئ . ولقد حملهم هذا القصور فى النظر على الاعتقاد بأنه من الممكن تغيير الأنظمة الاجتماعية بغتة سواء أكان ذلك عن طريق التشريع أو بوساطة إجراءات عنيفة .

ومهما يكن من شىء فإنه يجب علينا أن نبين ابتداء أن أولئك المفكرين الذين دعوا إلى هذه المبادئ كانوا فى العموم متشائمين حذرين من الفرد ضعيفى الثقة إلى حد بعيد ، ولذلك كانت الأنظمة التى يحلمون بها تضعه دائما تحت وصاية ضيقة الإطار . وقد صير هذا الضغط الاجماع منعقدا على أنه إذا كانت الشيوعية مبدأ مساواة ، فانها ليست ديموقراطية البتة لما فيها من خنق حرية الفرد و إذابته تحت أقدام الجماعة .

ومن أهم أسس هذا المذهب — بعد وضع الفرد تحت وصاية المجتمع — وجوب إلغاء الملكية الشخصية إلغاء تاما سواء فى ذلك مواد الاستهلاك وثمار العمل وآلات الإنتاج ، وهو لا يعرف من أنظمة التوزيع غير نظام واحد هو الأخذ من المنتجات العامة بقدر ما تدعوا اليه حاجة الاستهلاك ، وفى هذا يقول " توماس موروس[1] " فى كتابه " إيتوبيا " ما يأتى : " كل فرد يعمل حسب ميوله ، ولكن يجب أن يعمل الجميع ، وثمار العمل يجب أن تعد للجميع " . وفى هذا أيضا يقول "لينين" فى كتابه " الدولة والثورة " ما نصه : " إن تقسيم المنتجات لم يعد بعد يتطلب أن تحدد الجماعة لكل فرد منه نصيبه الذى يعود إليه من ثمار أعماله ، وإنما كل فرد سيكون منذ الآن حرا فى أن يأخذ ما يحتاج اليه " .

و ينبغى أن نشير هنا كذلك إلى وجهة نظر أساسية عند أولئك المفكرين النظريين وهى أن ذلك الوضع الاخلاقى المثالى الذى تضع فيه الشيوعية نفسها يلزمها بأن تعد فى العموم كل وسائل الثراء والملكية الفردية ونشاط الإنتاج وحركات الإيتثمار منابع خطرة للافساد

---

(١) توماس موروس هو مفكر انجليزى متطرف ، وقد اشتهر بآرائه الوهمية الخارقة وكان وزيرا للعدل وقد أبى أن يعترف بالسلطة الروحية لملك هنرى الثامن فقطع رأسه فى سنة ١٥٣٥

تجب إبادتها لتحقيق المثل العليا وفى طليعتها العدالة والمساواة . ولهذا لما كان فى إبادة هذه الوسائل تضحية بالفوائد الشخصية ، فقد دعا بعض أنصار هـذا المذهب الأولين كأفلاطون وآباء الكنيسة إلى القناعة وتضييق حدود الحاجات الفردية. وفى هذه النقطة بالذات تبتعد البولشيفية عن الشيوعية البحتة القديمة التى دفعت إليها المثالية الأخلاقية — وإن كانت صادرة عن فكرة خاطئة — إذ أن لينين فى ذلك الكتاب السالف نفسه يدعو أنصاره إلى مضاعفة القوى الإنتاجية والعمل على امتداد سلطانها إلى أكثر الحدود الممكنة ، وبالتالى هو أبعد ما يكون عن الدعوة إلى تحديد الفوائد والرغبات .

نقد هذا المذهب :

يلاحظ العلماء من الناحية النظرية قبل كل شىء أن منهج المذهب الشيوعى قد أسس على فكرة مثالية لم يعمل فيها حساب ألبتة للتجربة العملية ، ولا ريب أن فقدان هذا الأساس الجوهرى منه وهو تحديد الأحداث الاجتماعية يجعله فى نظر البحث الحديث خميل الأهمية إن لم يضعه فى عداد المبادئ المختلة القواعد والأركان .

ومن دواعى الأسف أن هـذا المذهب محبب إلى جماهير الأمم وأكثرياتها الغالبة ، وهؤلاء أنفسهم هم الذين لا يستطيعون إدراك أن هناك نواميس طبيعية تسود المجتمعات وتنظمها حسب اقتضاءات الضرورات القاهرة ، وفى هذا يقول دوركيم : "إنه لا يوجد إلا عدد قليل من العقول هو الذى تتغلغل فيه هذه الفكرة الصحيحة التى مؤداها أن الجماعات خاضعة لقوانين ضرورية ، وأنها بهذا الخضوع ذاته تؤلف النوع الطبيعى ... وقد نشأ عن هذا الجهل تصور أن أنظمة المجتمعات تغير عن طريق المعجزات أى بدون التجاء إلى معونة الطبيعة .

وفى الحق أن دراسة علم الاجتماع تظهرنا على ذلك التماسك المتين الذى يربط بين مراحل التطورات الاجتماعية أى تبين لنا ما نحن مدينون به للماضى وتحذرنا من ذلك السراب الخداع الذى يبدو لأعيننا من خلال تلك التغيرات الفجائية .

وإذا كان المذهب الشيوعى يحتوى من الوجهة النظرية على هـذا العيب الأساسى ، فإن الذى لا ريب فيه من الناحية العملية تكون أكثر موطنا الأخطاء وأشد تعرضا للنقد ، بل للهدم ، وهذا هو الذى كان بالفعل ، فقد سددت إلى قلبه سهام جادة من النقد الإيجابى المؤسس على التجربة والمشاهدة كذلك السؤال العويص الذى اتجه إليه منذ زمن غير يسير ولا تزال الجبهة المعارضة تنتظر الإجابة عليه حتى الآن وهو : كيف يمكن أن يضمن القائمون بتنفيذ هذه المبادئ إرضاء الحاجات المعتدلة المشروعة التى يتطلبها البعض و يقتصر

عليها ، بل كيف يستطيعون تحقيقها ضد أولئك الجشعين الذين لا تقف حاجاتهم عند حدود التوسط والاعتدال ؟ وفوق ذلك فإن نظرية الاستهلاك من مجموعة الإنتاج العام تتطلب من الجميع أن يكونوا بالضرورة فى أسمى أوج العدالة والنزاهة والخيرية حتى يشعروا بأنه يجب عليهم أن يعملوا أقصى ما فى وسعهم لزيادة المحصل العام ولا ينفقوا منه إلا بقدر الحاجة الماسة لكى ينال كل فرد حظه من الرضى والاطمئنان ، وتلك هى الحالة الوحيدة التى يمكن فيها تطبيق هذا المذهب ، ولا نحسب أن أنصاره قد وصلت بهم الجرأة إلى حد ادعاء بلوغ الإنسانية هذه المرتبة من الكمال . ومن أنصع الأدلة على خطأ هذه المبادئ تلك النتائج السيئة التى كشفت عنها التجربة المريرة التى عانتها الدولة الروسية فيما بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٢١ والتى أظهرت فى جلاء سطحية أولئك النظريين الذين لم يتنبهوا إلى الرذائل الإنسانية ، وفاتهم أن يوقنوا بأن الزراع سيسيئون زراعة الأرض إذا لم يجنوا ثمار أعمالهم بهيئة شخصية ، وأن العمال لا يطبقون قانون العمل تطبيقا دقيقا إذا لم تعد عليهم نتائج مشقتهم بطريقة مباشرة . ولذلك ألفى القادة الروسيون أنفسهم — بإزاء تلك النتائج الأسيفة التى أسفرت عنها تجاربهم — مضطرين إلى العدول عن تلك المبادئ الوهمية ، ولم يجدوا بدا من الالتجاء فى سنتى ١٩٢١ و ١٩٢٢ إلى تأسيس سياسة اقتصادية جديدة عادت أدراجها إلى احتضان مبدأ الفائدة الفردية وإن كانت قد ظلت محتفظة بإطار شيوعى واشتراكى وهو ذلك المزيج الذى يؤلف البولشيفية . ومن مميزاته أنه كثير الانعطاف نحو الاعتدال الذى اضطرته إليه ظروف الفشل القاسية .

## المذاهب الاشتراكية

حد علماء الاجتماع الاشتراكية فى معناها الحقيقى بأنها هى : " مبدأ يكل إلى الدولة تدريجيا التصرف فى جميع وسائل الإنتاج وتحديد سيرها وتحقيق توزيع المنتجات لضمان العدالة المفقودة فى الأنظمة الحاضرة " .

ولكن ينبغى أن نعرف أن هذا التعريف للاشتراكية هو حسب أصولها الأساسية ، ولهذا لا يتناول جميع الفروع التى نالت حظا وافرا من التطور أبعدها عن المبادئ الأولى .

وأيا ما كان فإن الاشتراكية ليست مذهبا واحدا وإنما هى عدة مذاهب يختلف بعضها عن بعض فى ثانوياتها وأغراضها وإن تكوينها جميعها حديث نسبيا ، إذ أنها قد ظهرت للمرة الأولى كنظريات متناثرة ذات أنصار فى فرنسا وانجلترا فى أوائل القرن التاسع عشر . وأشهر دعاتها فى ذلك الحين "سان سيمون" و "فوريه" الفرنسيان ، و "روبير أوين" و "روبسون" الإنجليزيان ، وكان إزهار هؤلاء جميعا حوالى سنة ١٨٢٠

وبعد ذلك العهد طفقت هـذه المذاهب تقف على أقدامها تدريجيا ، بل حملت تثبتها فى أرض أوربا شيئا فشيئا حتى صار لها على ممر السنين ذلك التيار القوى الذى يكاد الآن يجتاح الأخضر واليابس إلا فى البلاد المتماسكة المحتفظة بكيانها كالولايات المتحدة .

ولكى نرسم لك صورة صادقة بقدر المستطاع من هذه المذاهب يجب علينا أن نبدأ بتقسيمها وتمييزها من حيث المنهج وإليك إجمال هذا :

إذا تعقب الباحث نشأة هـذه المذاهب وظروف تكوينها ألفى أنها — كالمذهب الشيوعى الذى أسلفنا الحديث عنه آنفا — تقف نفسها حينا موقف المتطلع إلى أنبل الغايات الخلقية وأسماها وهى العدالة، وفى هـذه الحالة تدعى باسم الاشتراكية الوهمية . ومن أشهر دعاة هذه المبادئ الاشتراكى الفرنسى " لويس بلان " الذى اجتازت نظرياته أوربا كلها إبان الثورة الفرنسية الثالثة فى سنة ١٨٤٨

وحينا آخر نشاهد دعاة الاشتراكية يتركون الأوهام والأخيلة ويلتجئون إلى الأحداث الواقعية يؤيدون بها مواقفهم على نحو ما يفعل أنصار مذهب الأحرار ، وتدعى المبادئ المؤسسة على هذا النحو باسم الاشتراكية العلمية . وأول زعمائها هو " كارل ماركس[١] " الذى كان يريد أن يثبت أن ضرورة الحياة نفسها — بدون أى التجاء إلى المبادئ الأخلاقية وأدنى تحكك بالمثل العليا — هى التى تستلزم أن تستبدل الجماعات الحالية بجماعات أخرى تدين بالاشتراكية وتطبقها تطبيقا عمليا دقيقا . وكيفية تحقيق هـذا فيما يزعم ، هى أن التطورات الاقتصادية الحالية وانتشار الآلات الميكانيكية ، وفقدان التناسب الذى يزيد ويتضاعف باطراد بين القوى المنتجة من ناحيـة ونظام الإنتاج وتوزيع المنتجات من ناحية ثانية. كل ذلك سيقذف بالثروة بين أيدى الرأسماليين، وهكذا تنتزع الملكية بطريقة آلية من أيدى صغار الصناع والزراع والتجار والعمال، وإذ ذاك تتركز رؤوس الأموال فى عدد جد يسير من الأفراد ويهوى الباقى إلى طبقة الصعلكة فيزداد عددها كثيرا ، وحينئـذ تقع الثورة النهائية التى لايمكن تجنبها البتـة . وليس لتحقيق هـذا المصير المرتقب — فيما يرى كارل ماركس — إلا شرط أساسى واحد هو أن طبقة العمال يجب أن تكون على أهبة تامة للاستيلاء على السلطة .

ومن هذا يتبين أن كارل ماركس يدعو إلى إشعال نار النضال بين الطبقات ويحض العمال على الوقوف بالمرصاد للرأسماليين إلى أن تتاح لهم فرصة الانقضاض عليهم . ولا يخفى

---

(١) كارل ماركس هو الاشتراكى الألمانى الأشهر، وقد ولد فى نزيف فى سنة ١٨١٨ وهو مؤلف الكتاب الثورى الأعظم " رأس المال " وقد ظهر فى سنة ١٨٦٧ وهو أشد المؤلفين تحمسا لنظرية نضال الطبقات وإيجاد اتحاد دولى للعمال ، توفى فى سنة ١٨٨٣ .

مافى هذه الآراء الفجة من أخطار شنيعة ، أولها تمزيق وحدات الأمم وبث عناصر الشقاق بين صفوفها ودفع بعضها إلى تربص الدوائر بالبعض الآخر ، ونحسب أننا — بإزاء هذا كله — لسنا فى حاجه إلى التنبيه إلى أخطاء أولئك السطحيين أو المغرضين الذين يحاولون تقريب هذه المبادئ الوحشية من تعاليم الإسلام المفعمة بالسماحة والخيرية والتى تأمر اتباعها بأن لا يحقدوا على أحد ، بل بألا يلتفتوا إلى ماعند الغير من ثروة إذ يقول القرآن : " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى " .

ومهما يكن من شئ ، فان موضع الدهش فى مذهب كارل ماركس هو أنه لايرسم لنا صورة واضحة من جماعته الاشتراكية المقبلة ، وإنما هو يقتصر على ذكر جانب ضئيل من مميزاتها ، بل إنه أحيانا يقدم إلينا عنها فكرة تخيلة شاحبة ولكنها حقيقية بدون ريب ، إذ يقول : " وعند ذلك لن تكون فى الدول سلطة سياسية بمعنى الكلمة " . وحسبنا هذا التعبير من أكبر زعماء الاشتراكية فى العصر الحديث لتبين القيمة الحقيقية لهذه الجماعات .

هناك مذهب ثالث من المذاهب الاشتراكية وهو الذى يتوسط فى الأمر فيجمع بين الأسس الأخلاقيسة التى جعلها أنصار الاشتراكية الوهمية دعائم مذهبهم وبين المبادئ الاقتصادية التى أقام كارل ماركس قواعد مذهبه عليها ، وتلك الاشتراكية الفرنسية التى بشر بها "جان جوريس" .

وأخيرا يوجد منها مذهب رابع يعتنق بعض الشيء وهو بولشيفية روسيا التى تتألف من مبادئ شيوعية وأخرى اشتراكية ماركسيه . وقد ألجأها إلى هذا المزج ماعانته فى حياتها التى تلت اعتناقها المبدأ الشيوعى كما أسلفنا .

يعتبر الباحث فى أسس جميع هـذه المذاهب على نقطة عامة توحد بينها توحيدا يلفت النظر ، فمن أهم هذه النقط وأجدرها بالعناية فكرة التطور الاجتماعى الإجبارى الذى يجب أن يمر بعدة مراحل . ويدعو العلماء هذه الفكرة باسم التحديد الاجتماعى ، وقد لوحظت فى مبادئ : سان سيمون ، وفورييه ، وبرودون ، ولكنها قد اتخذت لدى كارل ماركس صورة جلية وصارت نظرية ذات كيان متين ، وهى تعرف الآن باسم نظرية " المادية التاريخية " ومجملها أن الأحداث الاقتصادية والظواهر الاجتماعية أى أن أساليب الإنتاج فى الحياة المادية هى التى تحدد فى العموم جميع الأنظمة الاجتماعية والسياسية والعقلية فى حياة المجتمع ، فالرحى التى تدار بالأذرع مثلا هى التى تنشأ حولها جماعة ذات مولى مطلق التصرف ، والمطحن البخارى هو الذى يكون جماعة ذات رأس مال صناعى . ومن ثم لم يكن كل النشاط السياسى والقانونى والأخلاقى والدينى والعقلى إلا بناء فكريا أساسه الحقيقى هو النشاط الاقتصادى ، ومعنى هذا أن الحياة العقلية والروحية فى كل جماعة هى انعكاس لحياتها المادية .

ونحن لانحسب أننا فى حاجة إلى أن العناصر الأولى للتعقل المنطق تمنعنا بنبذ هذه النظرية الخاطئة لسببين، أولهما : هو ذلك الأثر الجلى الذى نشاهده للحياة الروحية فى الحياة الاقتصادية ، وذلك الدور الهام الذى تلعبه العناصر النفسانية فى الحياة الاجتماعية والذى يتمم اتفاق الباحثين على أن المجتمع هو عقد روحى قد انتظمت حباته فى سلك من الشعور الوجدانى أكثر من أن يكون عصابة تأسست على دعائم الشركة المالية الخالصة ، والسبب الثانى : هو أن العوامل الاقتصادية ليست مادية محضة إذ أن من أهمها الابتكار وهو عقلى بحت والثقة وهى خلقية نقية . وقصارى القول إن الحياة الاقتصادية إذا نفدت العنصرين العقلى والخلقى أو استولت على زمامها هوت الى الحضيض .

ومن هذه النقط أيضا أن ذلك التطور الضرورى ينعطف الى وجوب محو الفوضى الحالية التى تسود الوظائف الاقتصادية المقاة فى الظروف الراهنة تحت رحمة تصرفات الأفراد واستبدالها بنظام خير منها يحصر القوى الانتاجية ويربطها بالدولة ربطا يختلف متانة ورخاوة باختلاف الحاجة الملحة فى كلتا الحالتين .

ومن هذه النقط الأساسية كذلك ماتصرح به الاشتراكية من أنها لا تريد إلغاء الملكية الفردية ، وإنما تريد تثبيتها على الدعامة الوحيدة التى تبدو لها عادلة ، وهى دعامة العمل التى تضمن شرعية الاستحقاق وباسم هذه العدالة وحدها أعلنت الاشتراكية الحرب على النظام الحالى للملكية، لأنه — فيما ترى — نظام متعسف ما دام أنه يعتمد على تقسيم الجماعة الى طبقتين : أولاهما تمتلك أدوات الانتاج وتحتفظ لنفسها بدخل لم تنله بمجهودها ، وانما امتلكته باستيلائها على ثمار مشقة غيرها، وثانيتهما هى الطبقة النشيطة التى لا تملك إلا عملها الذى يتسرب أكثر إنتاجه الى ذوى رؤوس الأموال، وهذا هو بذاته معنى قول برودون : " إن الملكية هى السرقة " .

ومن أبعد وسائل الملكية عن العدالة وأشدها إدامة للظلم — فى نظر الاشتراكيين — هى وسيلة الميراث التى يطلقون عليها اسم الوسيلة الميكانيكية الشرعية التى تحقق دوام الظلم الأساسى الذى هو طابع المجتمع الحالى لأنه حتى لو كان منشأ الملكية الحاضرة هو مجهود الأجداد — وهو زعم باطل تاريخيا — فانه يكون من الظلم أن يرث رجل نتيجة نشاط أجداده، لأن هذا الوارث ينال بالميراث ثروة لاتتفق مع قيمته الشخصية أو كفايته الفردية، وفى هذا من توسيع الهوة بين الملكية والعمل ما فيه، فى حين أن العدل يقضى بتقاربهما ، بل بتعانقهما .

على أن فريقا من الاشتراكيين — لكى يرضى العاطفة الأبوية ويشجع العاملين من رؤساء الأسر على مواصلة النشاط — قد اعتدل نوعا ما ، فأقر نظام ميراث الملكيات الصغيرة على ألا يتعدى ذلك الدرجة المباشرة فى الخط المستقيم ، وقد أحاط هذا القبول بتحفظ قاس

وهو فرض ضريبة خاصة على التركة تزيد فخامتها بزيادة الملكية الموروثة ، ونحن لا يسعنا حيال هذا إلا أن نوقظ أولئك الذين يتخرصون بأن الاشتراكية هي مبادئ الإسلام من سباتهم ، ونسائلهم عن مصير تلك الأحكام الاسلامية الجوهرية وهي الميراث ثم نهمس في آذانهم بهذه العبارة راجين أن يتدبروها كما ينبغي وهي أن النبي الجليل قد أخبر بأن أول ما سينمحي من شريعته هو الميراث . فهل ترضون لأنفسكم أيها المتحككون بالاشتراكية أن يكون على أيديكم هذا الإمحاء وأن يكون ذلك عن طريق الأساليب الخادعة البراقة ؟

ومن هذه النقط أيضا عناية الاشتراكية بالإنتاج إلى حد جعله غايتها الأولى التي ترجحها أحيانا على العدالة نفسها ، فهي إذ تجابه المصانع الكبرى باسم المساواة لا تسمح بتضحيتها على أي حال ، وإنما هي على العكس تبذل جهدها في نموها وامتدادها ، وفي هذا يقول كارل ماركس : " إن الاشتراكية هي فلسفة المنتجين " . وأصرح من هذه العبارة ما أعلنه زعيم الاشتراكية البلجيكية " فاندر " حين قال " انه ليعنينا قليلا أن يكون نظام الاشتراكية في توزيع الثروات أكثر عدالة من النظام الحالي إذا أدى تطبيق نظامنا إلى رجعية أو إلى توقف في امتداد القوى المنتجة " وهذا معناه في وضوح أنه إذا تعارض نمو الانتاج مع النظام العادل ضحوا بالثاني في سبيل الأول من غير تردد ، وفي هذا ما فيه من تناقض واضطراب .

## نقاش ونقد :

من المآخذ التي يأخذها الناقدون على الاشتراكية أنها تحاول أن تضع في يد الدولة قوة بالغة حد النهاية عند ما تكل إليها ملكية جميع أدوات العمل ونظام الثروة وطرائق توزيعها وهم يصرحون بدءا بأن هذه السلطة الواسعة لا يمكن اتقاء أخطارها إلا إذا تحققت لدى القائمين بتنفيذ هذه الأنظمة فضائل أخلاقية مثالية ، وهذا النوع لا يكاد يعرف كثيرا لدى رجال الحكم حتى الآن . وإلى جانب هذا الكمال الخلقي ينبغي أن يكون أولئك المنفذون قد ظفروا بأوسع المعارف البشرية حتى يستطيعوا أن يعرفوا كفاءة كل فرد ومؤهلاته ومواهبه وميوله ويحددوا حاجاته ويكتشفوا الوسائل الناجعة لإرضائها . وإذا فرض أن هذا النظام قد حدد وأحصى وروقب على خير ما يكون وأسندت مهمة حراسته والسهر عليه إلى حيش من الموظفين المختصين ، فإنه يخشى مع ذلك كله العدوان على الحرية الشخصية وتضييق حدودها . وفوق ذلك فإن الناقدين يرون أن إلقاء مقاليد الشؤون كلها بين يدي الحكومة يؤدي الى ضعف النشاط وفقدان ملكة الابتكار لدى الأفراد . وبهذا تقع كارثتان شديدتا الأثر وهما : القضاء على الحرية وانخفاض المستوى الاقتصادي إلى حد الإجداب .

ومن هذه المآخذ أيضا مارمت به الاشتراكية الأسرة التقليدية فى الصميم حينما هاجمت الميراث الذى هو أحد أسسها الجوهرية . ومنها كذلك أنها قد سددت سهما مسموما إلى قلب الوطنية حين أعلنت عالميتها . ولا يخفى ماينطوى عليه هـذا المبدأ من خطورة تبدو جليا فى إهمال مصالح الوطن ومنافعه عند مايجىء الأمر بإهمالها من الرياسة الدولية .

وأخيرا إننا سنتعقب — فى انتباه و يقظة وتحفظ — النتائج التى ستسفر عنها التجارب فى الأمم التى سادت فيها الاشتراكية بعد هذه الحرب الأخيرة ، فتلك النتائج وحدها هى التى ستكون صاحبة القول الفصل فى صلاحية هذه المذاهب أو فسادها ، وفى عدالة هذا النقد المتجه إليها أو تجنيه عليها . ومهما يكن من الأمر فإننا نحمد الأقدار كثيرا على أن الرأسمالية لم تصل من الطغيان عندنا إلى ذلك الحد الرهيب الذى يرسم الاشتراكيون صوره فى لوحاتهم القاتمة ، والذى من شأنه أن يملأ نفوس بعض الطبقات حقدا على البعض الآخر ، ولا يفوتنا أن نسر إلى الداعين إلى الاشتراكية فى هذه البلاد باسم العدالة أو باسم الإسلام أنهم بعيدون عن الصواب بعد الظلام عن النور وأن ننصح لهم قبل أن يعرضوا للتحدث فى أمر ما أن يتثبتوا منه و يحيطوا بعناصره وأسسه حتى لا تكون أحاديثهم عنه أوهاما أو أحلاما .

الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

---

الحسن أن تعامل العدو والصديق بالحسنى ، وهل يأتى الشر من جبل على الخير ، أنت إن إلى الصديق جعلته عدوك ، وإن أحسنت إلى العدو جعلته صديقك .

الخيام

# الرجوع الى الطبيعة
# وأثره فى التهذيب العام*

للأستاذ عبد المنعم خلاف

سيداتى سادتى :

لقد بعدت المسافة بين نفوسنا و بين الطبيعة التى منها مبدؤنا و إليها مرجعنا وفى أحضانها نشأنا ودرجنا .

وطالما نسينا أن نتفرغ لها بعض الوقت ونأنس بقربها ونتمتع بمباهجها ونتلقى عنها مباشرة أذواق الإيمان الأصيل ودروس العلم الحق وفنون الشعر العميق وعظات التجارب البالغة .

لقد قنعنا بأن نزورها فى حالات خاطفة ومناسبات عابرة ، وأن ننظر إليها ( محفوظة فى علب ) ومنقوشة فى لوحات ومحبوسة فى ألفاظ ، وأهملنا تنايب حواسنا وأفكارنا وأيدينا فى مشاهدها ومسارحها ومعاهدها . مع أن الله تبارك وتعالى لم يأت بنا إليها ولم يدخلنا إلى رحابها إلا لنرمى بأنفسنا وأفكارنا دائما إلى رحابها فنعلم آثار علمه وقدرته و براعة صنعته فيها قبل أن يخرجنا منها و ينقلنا الى عجائب عالم آخر .

ومنذ أن حبستنا منازلنا بسقفها وجدرانها عن رؤية الآفاق العريضة والسموات العجيبة ، والجبال الشامخة ، والبحار الرحبة ، والصحارى الشاسعة ، والأضواء الطليقة ، والظلمات المطبقة ، والبرارى الجدبة ، والحقول الخصبة المرعة ، والغابات الحالمة ، والأمطار الدافقة منذ ذلك كله أصبنا بضيق الأنفس وصدأ الحواس وجمود المشاعر وعقم الخيال وضآلة الأجسام وخمود القوى وهمود العزائم وضعف الاعتماد على النفس وفقد القدر اللازم من قوة الكفاح التى لابد منها لمن يريد أن يعيش عزيزا محترم الحقوق ، وشغلنا بأسباب السأم والملل والتشاؤم والسخط . وشعرنا بثقل وطأة الحياة على أعصابنا وأرواحنا ، وضاقت علينا الأرض بما رحبت . وود كثيرون منا ان لم يخلقوا وتمنوا أن يرحلوا عن الحياة بالوسائل المشروعة وغير المشروعة .

و إنى أعتقد أن أكثر آلام النفوس والأجسام ، وأسباب الضيق والمرض ، منشؤها البعد عن الطبيعة وعدم الرجوع إليها بالجسم والروح فى فترات طويلة .

وقد نسى سكان المدن أن أجدادهم الأقدمين لم يكن بينهم و بين الطبيعة هذه الحواجز الصناعية الكثيفة وأنهم كانوا يتقلبون فيها دائما ، لذلك كانوا أقوياء الأجسام طويلى الأعمار ، شجعان القلوب مستقلى الإرادة رابطى الجأش فى مقابلة الأخطار صابرين على مشقات الحياة مع أنها كانت مشقات نكراء وعقبات عصيبة لا يكاد يقاس بها ما نلاقيه نحن

* أذيعت فى برنامج الوزارة

الان من صعاب وشدائد . وقد تحولت الحياة الأنسانية بمرافقها جميعا إلى حياة صناعية بينها و بين الحياة الطبيعية حواجز وعوائق ، فقد صار الملبس معقدا لايتفق مع قواعد الصحة ، وصار المسكن كذلك بعيدا فى أكثر المدن عن الجو الخالص الخالى من رکام الدخان وغازات المجارى وعفونات الفضلات والزبالات ، وصار كل من المأكل والمشرب والمعهد والمعبد والمتاع كذلك بعيدا عن البساطة التى توحيها الطبيعة ، وصار الناس يعقدون حياتهم ويراكمون تقاليدهم الصناعية يوما بعد يوم حتى استحالت إلى حياة كثيرة التكاليف تقاية الوطأة على الاعصاب ، مرهقة للنفوس بالمطالب النافهة الكثيرة شاغلة للأوقات بما لاطائل وراءه ولا نفع يرجى منه .

ويخيل لكثير من الناس أنهم كلما كثرت حياتهم تعقيدا وتلفيقا و بعدوا عن بساطة الطبيعة عظم حظهم من الحضارة والانتساب الى الحياة المدنية وزاد حظهم من السعادة تبعا لذلك ، وهذا لا شك خيال كاذب . فقد دلت التجارب على أن أكثر الناس حبا للبساطة فى مرافق الحياة الكمالية وأقربهم إلى الطبيعة هو أكثرهم نصيبا من السعادة النفسية والصحة الجسمية والألفة الفكرية والحضارة النفسية . لأنهم لم يبعدوا كثيرا عن الجو الطبيعى الذى وجد فيه أجدادنا الأولون الذين ورثنا عنهم الحياة ولا يزال فينا كثير من خصائر حياتهم ورواسب أمزجتهم ، ولا تزال مبادئ حياتنا فى الطفولة تميل إلى طلاقتهم وحريتهم وحبهم للطبيعة وقربهم إلى حيوانها ونباتها .

وإنكم لتجدون مصداق ذلك فى حياة كثيرين من الحكماء والعلماء أولئك الذين تحرروا من كثير من القيود الصناعية التى لا فائدة منها ورجعوا إلى مبادئ الحياة الطبيعية فى كل شئ ما أمكنهم ذلك ، فوجدوا لهذا لذة وسعادة آثروهما وفضلوهما على ما وجدوه لدى الناس من أسباب التعقيد .

وإننا بالطبع لاندعو إلى الشذوذ والخروج على النظم العامة التى ارتضتها الجماعة ، ولكننا ندعو إلى التخفيف من أحمال الحياة الصناعية كلما أمكن ذلك . وإلى العودة فى فترات كثيرة إلى الطبيعة لنتذكر المبادئ الأولية للحياة فلا ننساها ، ولنتمتع بلذة الحرية والانطلاق من القيود الكثيرة فى المسكن والملبس والمأكل والمجلس والتقاليد . فنترك سكنى المنازل بعض الأحيان ونسكن الخيام والأخصاص والعراء إن أمكن ذلك فى الحقول والصحارى وعلى شطوط البحار والأنهار وعلى قمم الجبال وعلى ظهور السفن والمركبات مثلا . ونترك بعض الأحيان المأكولات المعقدة التى ترهق المعدة والأحشاء إلى المأكولات الفطرية الساذجة التى لا تعدد فى موادها ولا فى كيفيات طبخها . ونترك الملابس الضيقة التى تمنع الهواء والضوء عن أعضاء الجسم وتحرمه المناعة والمقاومة وحرية الحركة . ونترك كثيرا من تقاليد

الزينة والنظرية التي اتفق عليها الناس فى حياة المدينة . حتى نألف حياة التجرد والخشونة ولا نفزع منها إذا اضطررنا إليها . وكثيرا ما يكون ذلك الاضطرار .

سيداتى سادتى :

إنكم لا شك تلاحظون أن فطرة الله التى فطر عليها الأطفال دائما ترفعهم إلى الطبيعة والبحث فيها والتعجب منها والسؤال عن سبب وجود كل شيء فيها وحدوث كل حادث، وإلى تجربة كل شيء وفتح كل مغلق وركوب الأخطار بالرغم من تحذير الأمهات والآباء والمعلمين .

فالأطفال مدفوعون بفطرتهم إلى التبش فى كل شيء يصادفهم فى هـذه الدار العجيبة التى وجدوا أنفسهم بعد تيقظهم من ذهول الطفولة قد دخلوا إليها وعرفوا فيها الحياة من غير أن يعرفوا أسباب ذلك . فهم يجدون انفسهم مضطربين فى تلهف وشوق إلى السؤال عن كل شيء وسبب وجوده ونقصه وتكوينه وأسرار صنعه ونهايته وتخريبه ومصيره . إلى آخر تلك الأسئلة التى بعضها يحرج الآباء والمعلمين لما فيه من الدقة والصراحة والإلمام النافذ لمواضع السؤال مما لا يمكن أن يتناسب مع أعمارهم فى هذا الدور . كأن هذا الطفل كائن غريب عن هـذه الطبيعة . نعم هو غريب وليس غريبا . هو ليس غريبا بجسمه وتكوينه المادى عن هـذه الطبيعة . ولكنه غريب بفكره الذى يلوح لنا أنه شأن ليس من شؤون هذا العالم المادى والحيوانى المحدود .

فغرام هذا الطفل الأنسانى الصغير بالطبيعة والتعجب من كل شيء فيها والاتصال بها اتصالا وثيقا هو مفتاح العلم الحق والإيمان العميق . ولكن مع الأسف كثيرا ما يتحطم هذا المفتاح أو يصدأ فى يد الطفل الصغير لأنه لم يجد مرشدين لاستعماله . ولو لبيت رغبات الطفل دائما فى الأجوبة على أسئلته ولم يضق الاباء والمعلمون ذرعا بها وساروا معه إلى المجهولات التى يجب أن يعلمها ولم ينهوه عن كثرة السؤال وحاولوا دائما أن يشجعوه على اختبار كل شيء والسؤال عنه ، إذ لثابر هذا الطفل على حبه الطبيعة والمضى فى الاهتمام بها طول حياته الآتية والأنس بالقرب منها والرجوع الى استفتائها ولم تنقطع الصلة بينه وبينها كما يحدث ذلك دائما . و إذ لفاد هـذا الطفل الناس ووضع أيديهم على مجهولات الكون أو ذكرهم من نسيانهم إياها . وجعلهم يواصلون جهادهم فى كشفها . ولكن أكثر الآباء والمعلمين يفرون من أسئلة الطفولة لجهلهم الجواب أو لضيق صدرهم عن سماع الأسئلة . وفى هـذا الفرار أول معول لهدم حب الاستطلاع فى نفس الطفل — ( مع أن حب الاستطلاع أكبر سلوى وسلاح له فى رحلته إلى الحياة ) . وفيه أيضا أول زلزال لثقته بالعقل البشرى . وأول باعث

له على الغفلة والاهمال وطمس قوة الملاحظة. وأول حامل له على المرور على مشاهدة الحياة مغمض العينين والفكر ، وأول مسبب لانحراف قلبه عن الايمان بالله عن طريق الفكر المستنير والعلم الثابت الغزير .

فاحذروا سيداتى وسادتى أن تحولوا بين نفوسكم وأطفالكم وبين الطبيعة . بل القوا بأنفسكم وأطفالكم فترات طويلة فى أحضانها فى الربيع والخريف والصيف والشتاء حتى تتجدد حياتكم وأذواقكم بتجدد الفصول .

وقلبوا أفكاركم دائما فى مسارحها ومشاهدها العجيبة وحيوانها المتنوع ونباتها المتفرع. واملأوا أوعيتكم من كنوزها التى لا تنفد فإنها كنوز الصحة والقوة والجمال ورقة الشعور وسلامة الإدراك وعمق الإيمان .

ألقوا بأطفالكم دائما إلى رحابها فإنها مدرستهم وأساتذتهم وباعثة الإيمان والخشية والحب لربهم فى قلوبهم ، ووجهوا أنظارهم دائما إلى الفروق الدقيقة بين أنواع حيوانها ونباتها ، وشجعوهم على جمع ما يحبون جمعه من أعاجيبها فإن ذلك هو اللعب المفيد الشائق المهيىء لمستقبل سعيد . وعلموهم حب الحيوان ورحمته واعقدوا صداقة وثيقة بينهم وبينه حتى يشبوا وينشأوا على حبه ورحمته وعدم إرهاقه وتعذيبه . وعلموهم السباحة وفلاحة الأرض والرحلة إلى الصحارى وتسلق الأشجار والتلال والجبال وعلقوا أبصارهم بالسماء ونجومها ومشاهدها العجيبة حتى توسعوا خيالهم وتثيروا الدهشة من عجائب الدنيا فى نفوسهم .

إنكم إن فعلتم ذلك وثابرتم عليه خرج لكم جيل قوى الجسم سليم الطبع مؤمن القلب مثقف الفكر يحب العلم ويهتز للشعر والفن ويخلص العبادة لله الخالق البارئ المصور ويصلى له صلاة دائمة بالفكر والقلب قائلا : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ) .

عبد المنعم خلاف

# مجانية التعليم
## وعلى أى أساس تمنح ؟

للأستاذ محمود غنيم

المجانية فى وزارة المعارف قصة تتكرر كل عام دراسى ، تبتدئ بابتدائه وقد ينتهى العام ولا تنتهى .

ولعل هذا الوقت أنسب الأوقات لتناول هذا الموضوع ، فنحن فى مستهل العام الدراسى وهو بدء موسم المجانية ، فضلا عن أن هذا الموضوع هو اليوم موضع بحث المختصين ، بل إن وزارة المعارف قد بتت بالفعل فى بعض نواحيه باصدار تشريع جديد .

ويخيل لنا أن وزارة المعارف قد بدأت تسير على الدرب بعد أن اختلطت عليها السبل وبعد أن طال بها المطاف .

ولسنا نقصد بالتعليم المرحلة الأولى التى نص عليها الدستور ، وفرضها فرضا على المصريين جميعا لا فرق بين ذكورهم وإناثهم ، فإن تلك المرحلة — سواء أسمينا مدارسها ابتدائية أم أولية — لا موضع للجدل فى وجوب مجانية التعليم فيها ، فإنها من واجب الحكومة قبل أن تكون من حق الأمة وهى من جانب الأولى بالنسبة للثانية بمثابة شق الترع وإقامة الجسور وحفظ الأمن إن لم نذهب الى أبعد من ذلك فنزعم أنها ألزم للأمة من تيسير الماء وتوفير الغذاء ، وعلى هذا فكل كلام يثار حول موضوع المجانية فى تلك المرحلة من التعليم يعتبر من لغو القول وفضول الكلام .

وإنما نعنى المجانية بالنسبة لما يلى المرحلة الأولى من مراحل التعليم فيما بعد هذه المرحلة من مراحل التعليم هل يكون التعليم كله بالمجان ، أم تتقاضى الدولة عليه أجرا ، أم يجب أن يجمع بين هذا وذاك ؟ وإذا قلنا بالرأى الأخير فعلى أى أساس يكون الإعفاء من نفقات التعليم ؟ أما أن يكون التعليم كله فيما بعد مرحلة الإلزام بالمجان فهذا شطط لا تحتمله دولة محدودة الموارد كمصر ، ولئن صح أن بعض الدول تأخذ به فعلينا ألا ننسى أننا فى بلد حديث العهد بالنهضة ، وأننا لم نستكمل أسباب محو الأمية بعد ، وقليلا أن ننتظر سنين وسنين حتى نستكمل تلك الأسباب ، فكل كلام يقال فى هذا السبيل سابق لأوانه ، وإنما هو من قبيل الطفرة التى تدفع إليها الحماسة ثم لا يؤمن معها العثار .

وأقل ما يقال فى هـذا الصدد أن نتريث حتى لا يكون بيننا من يحمل خاتما أو يبصم بأصبع ثم ننظر فى تعميم المجانية بالنسبة للتعليم الثانوى أو المتوسط .

وأما أن يكون التعليم فى هذه المرحلة كله بالمصروفات فهذا شطط أيضا لأن فيه حرمانا لمن تنهض بهم مواهبهم ويقعد بهم فقرهم عن مواصلة التعليم ، ولأن فيه حرمان الدولة نفسها من الانتفاع بمواهب هؤلاء ، ومن المعلوم أن التلميذ فى تلك المرحلة من التعليم لا يدفع من المصروفات ما يتكافأ مع نفقات تعليمه وإنما يدفع من ذلك شطرا وتدفع الدولة من جانبها شطرا آخر ، وقد يكون ما يدفعه هو أقل الشطرين ، ويكون الوضع على هذا الاعتبار أن الدولة تعاقب الفقير لمجرد فقره بالحرمان لا من العلم وحده بل من العلم والمال معا ، وتثيب الغنى لمجرد غناه لا بالعلم وحده بل بكليهما ، وهذا مالا يستسيغه منطق الديموقراطية الحديثة ولا تقره مبادئ العدالة الاجتماعية بحال .

إذن لا مندوحة فى مرحلة التعليم المتوسط ومرحلة التعليم العالى أيضا أن نجمع بين المصروفات الكاملة والأعفاء الكامل وأن نتوسط بين هذين فى بعض الأحيان .

ولكن على أى أساس يكون الإعفاء جزئيا أو كاملا ؟ نستطيع أن نجمل تلك الأسس فى كلمتين لا ثالث لهما ، هما الفقر والتفوق .

أما الآخذون بنظرية الفقر فيتذرعون بمبدأ تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، ويقولون : إن الغنى يستطيع أن يشترى العلم بالمال بخلاف الفقير فان فرض المصروفات عليه معناه الحرمان من التعليم ، وذلك معناه أن نجمع عليه بين علتى الفقر والجهل ، وما أقسى إحدى هاتين العلتين ، فما بالك بهما مجتمعتين . وعلى ذلك درجت وزارة المعارف ردحا طويلا من الزمن ، فكانت لا تمن بالاعفاء من المصروفات إلا حين يثبت فقر الطالب بشهادة الشهود وعرض كشف الممتلكات وذكر الكوارث المنتابة وما إلى ذلك مما لا يحتاج إلى تفصيل .

والواقع أن الأخذ بنظرية الفقر عاطفى أكثر منه أى شىء آخر ، وإن شئت فقل : إنه من باب التمويه الذى يراد به فى الغالب إرضاء السواد وكسب الجماهير .

والواقع أيضا أن المجانية أخذا بهذه النظرية قد فشلت فى تأدية رسالتها للأسباب التالية .

أولا — دلت التجارب وأثبتت الإحصاءات أن غالبية المتمتعين بمجانية التقرير هم من أدعياء الفقر لا من الفقراء حقا ، وفى الحق أن المدارس كانت تتلقى فى فتح كل عام دراسى طوفانا من طلبات المجانية يكاد يستوعب كل المحلات الخالية بها أو يربو عليها ، وكل هذه

الطلبات تفيض بشكوى الزمان ، وتتفنن فى خلق الكوارث وتتناقص فيها الموارد إلى حد العدم ، وفى هذه الحالة كان من العسير التمييز بين الغنى والفقير أو بين الفقر الحقيقى والفقر المصطنع .

ولعل من الصراحة أن نذكر أن كثيرا من الفقراء الحقيقيين كانوا يستطون فى الميدان ولا يجدون من يأخذ بأيديهم بخلاف أدعياء الفقر فكثيرا ما كان يجرد هؤلاء من الأقارب والأصهار فيانق من الشفعاء .

ثانيا — دلت التجارب وأثبتت الإحصاءات أن كثيرا ممن يتمتعون بمجانية الفقر تفقد بهم مواهبهم لا مواردهم عن مواصلة التعليم ، ولسنا ننكر أن الفقر قد يقترن بالذكاء الخارق ولكنا بجانب ذلك لا ننكر أنه قد يقترن أو كثيرا ما يقترن بالفتور وكلال الذهن واعتلال الصحة إن لم يكن ذلك بحكم الطبيعة فبحكم البيئة وسوء التربية المنزلية

وإذن فليس من المصلحة فى كل الأحايين أن نساق مدفوعين بعواطفنا إلى فتح أبواب التعليم المتوسط أو العالى على مصاريعها للفقراء ، بل كثيرا ما يكون الأجدى لهؤلاء أنفسهم وللدولة بوجه عام أن ينصرفوا عن التعليم إلى سواه مما يصلحون له من أبواب النشاط التى تتطلبها شئون الحياة .

ثالثا — لم يكن الأخذ بنظرية مجانية الفقر من التربية الخلقية فى شيء ، ولقد دلت التجارب أيضا أن المتمتعين بهذه المجانية كانوا يشعرون فى قرارة نفوسهم أنهم دون سواهم من سائر التلاميذ ، وكم كان من المخجل — فى عرف التلاميذ على الأقل — أن تعلق الجداول على على جدران الفصول مؤشرا أمام أسمائهم بما يفيد فقر آبائهم حتى لقد حدا ذلك بكثير من المرين إلى تحاشى هذه الطريقة تلافيا لذلك العار .

بقيت نظرية التفوق ، وهى فى نظرى أقوم أساسى المجانية وأوفاهما بالغرض وأخفهما أضرارا إن كان ثمة أضرار ، والواقع أنها ربما لا تسلم من الاعتراض ، ولكننى أومن دائما بقول القائل : ليس الحازم من يعرف الخير من الشر ولكن الحازم من يعرف أهون الضررين .

وإذا أخذنا بهذه النظرية فإن مجموعة درجات التلميذ وحدها هى وسيلته وشفيعه فى المجانية إلى وزارة المعارف ، وللوزارة أن تحدد تلك المجموعات بمقدار ما تسمح به نسب المجانية التى رصدتها لهذا الغرض ، ولها أن تقسمها إلى مجانيات كوامل أو إلى أنصاف أو أرباع كما تشاء على شرط أن يكون الحكم فى ذلك كله هو المجموعة ، والمجموعة وحدها بصرف النظر عن أى اعتبار آخر .

ولست أبيح فى هذه الحالة استثناء واحدا من تلك القاعدة ، ولست أنكر فى الوقت نفسه أن ثمة حالات قد تسوغ هذا الاستثناء ، ولكن الأخذ باستثناء واحد فى هذا السبيل كثيرا ما يجر إلى مشاكل لا يعلم مداها إلا الله ، ولا سيما فى عصر الديموقراطية الذى تتعدد فيه الأحزاب وتصاب البلدان بحمى الشفاعات .

وفى الحق أننا لو أخذنا بهذه النظرية — أعنى نظرية التفوق — تجنبنا الأضرار التى ألمعنا إليها ، وليس تجنبها بالشىء اليسير ، وحسبنا أننا بذلك نخفف بل نقطع دابر الضغط الذى يقع فى بدء كل عام دراسى على أبواب وزارة المعارف وأبواب المدارس فيكاد يشل حركتها شطرا من العام ليس بقليل .

ولو آثرنا جانب الصراحة أكثر مما تقدم لقلنا : إننا بهذا الصنيع نجنب البلاد خطرا كبيرا هو إفساد الضمير فيما يتعلق بطائفة من أولياء الأمور وطائفة أخرى من الموظفين .

وفضلا عما تقدم نستطيع إذا أخذنا بنظرية التفوق أن نحقق الغرضين التاليين .

أولاً — ضمان صرف المال الذى رصد للمجانية فى وجهه الصحيح فإن المتمتعين بها على هذا الوضع هم خلاصة التلاميذ موهبة واستعدادا ، وهؤلاء الخلاصة هم قبل غيرهم عدة الأمة وعتادها فى المستقبل وعلى أكتافهم تقوم النهضة وبهم تناط الآمال .

ولقائل أن يقول : ما حكمة منح القادر المتفوق تلك المنحة ؟ ونحن نجيب أن أقل ما فيها اعتبارها بمثابة جائزة له على تفوقه ، على أن الدولة إنما تربى هؤلاء الممتازين لحسابها أكثر مما تربيهم لحساب أنفسهم فمن حقهم أن تتحمل الدولة نفقاتهم ، فضلا عن أننا لو قلنا بحرمان القادر المتفوق هذا الحق لعدنا إلى مشكلة تمييز الغنى من الفقير وهى من الدقة والخطر بمكان .

ثانيا — فتح مجال المنافسة أمام التلاميذ وحفز هممهم إلى العمل ابتغاء هذا الكسب المادى وقد يكون شعور التلاميذ بقيمة هذا الكسب فى ذاته محدودا لأنهم لا يعانون من أمور أنفسهم المادية كثيرا ولكنهم فى الوقت نفسه حراص على مرضاة أولياء أمورهم فضلا عن أن يجانب هذا الكسب المادى كسبا آخر أدبيا لا يستهان به ، ذلك أن المجانية — على هذا الوضع — ستصبح شرفا تطمح إليه النفوس لا وصمة تتحامى من أجلها الرءوس .

وقبل أن نختم هذا المقال نرى وجوب الاشارة إلى أمرين جديرين بالاعتبار .

الأول — أننا ما دمنا أخذنا بنظرية التفوق فى منح المجانية فمعنى ذلك أننا سنقصر تعليم من تقعد بهم مواهبهم على طائفة الموسرين الذين يستطيعون دون غيرهم الاضطلاع بعبء

المصروفات، وفي هذه الحالة نرى وجوب رفع تلك المصروفات بحيث تتكافأ مع نفقات التلميذ حتى لا تقع في المحظور الذي سبقت الإشارة إليه .

الثاني — أننا ما دمنا أخذنا بتلك النظرية فمن الواجب توخي العدالة والمساواة في الامتحان بقدر الامكان، وهذا يقتضي بالغاء نظام المناطق — في الامتحان على الأقل — فان الامتحانات تتفاوت صعوبة وسهولة بتفاوت أذواق الممتحنين في تلك المناطق والمشاهد أننا نجد مثلا مجموعة الـ ٦٠٪ أمرا عاديا يظفر به التلميذ المتوسط في منطقة على حين نجد تلك المجموعة نفسها عسيرة المنال على التلميذ الممتاز في منطقة أخرى، وليس منشأ ذلك التفاوت في الاستعداد والتحصيل بل منشؤه تفاوت الأذواق واختلاف التقدير، على أننا جربنا نظام المناطق في مصر فلم نجد في طبيعتها ما يقتضي بخلاف جوهري في مناهج التعليم، وهذه مناهجها وامتحاناتها أمامنا إنما تختلف في الشكل دون الموضوع .

محمود غنيم
مدير قسم المباريات الأدبية
بوزارة المعارف

# الجريمة والزكاة

للآنسة منور حافظ

الجرائم على اختلاف أنواعها مذمومة مرذولة لأنها اعتداء صارخ على حرمة المجتمع لا يبرره عرف ولا يقره قانون ولا يرضى به إلا كل خانع مستذل حاقد على الإنسانية جمعاء .

والجريمة فى مبناها كلمة تمجها الأسماع وترتعد من ذكرها القلوب لأنها تصور فى ذهن الانسان معنى من معانى الوحشية فى أبشع صورها وأبعد مداها .

لا مشاحة فى أن مرتكب الجريمة أيا كانت ثقافته خارج على القانون مارق منه سواء أكان القانون وضعيا أم سماويا .

ولاشك أن مرتكب الجريمة إما أن يكون فاقد الوعى أو مريض النفس سقيم الوجدان ، وكيف لا يكون كذلك وهو يتقدم على سرقة مال غيره أو هتك عرضه أو يقتل نفسا حرم الله قتلها أو يزور أو يرتشى .

والجرائم مهما كان نوعها حقد دفين كامن فى نفس مرتكبها . ولو فتشنا بين جدران السجون وتقصينا أخبار نزلائها ودوافع ارتكاب جرائمهم لظهر لنا بأقوى دليل وأسطع برهان أن الجرائم سواء كانت خلقية أم غير خلقية خاضعة لعامل واحد هو الفقر . ولست أقصد بالفقر قلة المال . ولكنى أقصد الفقر فى كل شئ . فى الأخلاق . فى الضمير . فى الوازع الدينى . ذلك لأن الجرائم يشترك فى الوقوع فيها العلماء والجهلاء والفقراء والأغنياء على حد سواء . وعلى هذا فلا دخل للعلم أو الجهل ولا للفقر أو الغنى بل هى أمراض نفسانية تصيب الجاهل والمتعلم والغنى والفقير .

ولست أرمى من وراء ذلك أن العلم لا يفيد فى دفع الجرائم والاقلال منها . ولكنى أقصد أن الكل يقع فيها ، ولكن مما لا شك فيه أن الجهلاء أكثر وقوعا واقترافا للجرائم من المتعلمين . لأن الجهل والفقر عاملان متلازمان من عوامل الاكثار للوقوع فى الجرائم خلقية كانت أم غير خلقية . ذلك لأن الفقراء يحقدون على الأغنياء و يحسدونهم على ما أصابوا من رغد العيش وهناءة الحال . ويتمنون بجدع الأنف أن يصيبهم ما أصابهم . ولو شعر الفقراء بعطف الأغنياء عليهم لارعوى كل فقير . ولما أقدم على ارتكاب الجريمة . وكيف يقدم عليها وهو يشعر بعطف الغنى واحسانه و بره . وتلك كانت حكمة الإسلام فى فرض الزكاة ، فاللص ما سرق إلا من أجل المال . والقاتل ما قتل إلا من أجل المال . والمرأة ما اضطرت الى بيع عرضها فى سوق الدعارة إلا من أجل المال . إذا فالمال هو أس الجرائم .

وليت شعرى لماذا يقول الفرنسيون حينما تقع الجريمة فتش عن المرأة ؟ ؟ ؟ إذا لتهم قالوا فتش عن المال .

إذ لو أخرج الغنى زكاة ما عنده من مال ما قتل القاتل ولا سرق السارق ولا سقطت المرأة ولقلت الجرائم. ولو نسج على منواله كل موسر عاقل نقضوا على جيش البطالة العرمرم ، ولكن سادتنا الأغنياء يعيشون فى قصورهم العاجية ولياليهم الحمراء بينما يعيش الفقراء فى أكواخ سداها الجهل ولحمتها الفقر والمرض .

ونحن فى مستهل عهد جديد وكل الأمم قد شمرت عن سواعد جدها لتواجه مشكلات ما بعد الحرب. وقد ثبت بأقوى دليل أن الحكومات وحدها لا تكفى لدفع غائلة الجوع والعرى والمرض ما لم تمد إليها المحسنون والأغنياء الموسرون يد المساعدة . وفى كثير من البلدان الأجنبية تقوم جمعيات كثيرة بجانب حكوماتها بالإشراف على شئون الحياة الاجتماعية لهذا نمت الحياة هناك وازدهرت ، ذلك لأنهم عرفوا أن عجلة الزمان تدور بأسرع دورانها ، ونحن ننظر إليهم ونمتدح أعمالهم ولا نقدم على محاكاتهم إلا فى النذر اليسير . غير أنى لا أنكر بحال أن هناك جمعية أو جمعيتان قد أدتا بعض ما عليهما قدر طاقتهما وفوق طاقتهما الكثير من الأعمال . ولكن جمعيتان أو ثلاثا أو أربعا لا تكفى بحال من الأحوال. ومن الذى يقول أن جمعية الهلال الأحمر أو مبرة محمد على تكفيان لدفع الفقر عن أمة تعدادها يقرب من العشرين مليونا . لقد قامت هاتان الجمعيتان بما هو فوق طاقتهما وكان لاشتراك بعض سيداتنا الفضليات جهدا مشكورا غير منكور . وطالما كتب الكتاب للأغنياء مرشدين وخطب لهم الخطباء واعظين وناصحين . ولكنهم وضعوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا .

لهذا لم يبق إلا أن تسن الحكومة قانون الزكاة وتفرضه فرضا وإجبارا ، وإلى هذا قد سبقتنا معظم الدول الأجنبية .

وقد يقول قائل إن فرض الزكاة إجبارا فيه معنى من معانى الاشتراكية . وقد فاته أن الدين الإسلامى يحض على ذلك ليشرك الفقراء فى أموال الأغنياء رحمة بهم وشفقة عليهم . "والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" .

وليت شعرى أى عين يجمل بها أن تستبقى فى محاجرها قطرة من الدمع فلا تريقها أمام منظر البؤساء والفقراء وهم يزرعون الطرقات جيئة وذهابا يبحثون عن لقمة عيش يسدون بها رمقهم أو مزقة من قماش يسترون بها عورتهم بينما ينثر الأغنياء الذهب على الغوانى والقيان وعلى كماليات لا ضرورة لها ولا لزوم .

وأى قلب يستطيع أن يستقر بين جنبى صاحبه ساعة من الزمان ولا يطير جزعا وهو يرى أخوه فى الإنسانية عارى الجسد خاوى الوفاض .

هذا السلوك المهذب لم أره كذلك فى الأبناء فيشبون عليه ويختفى من محيطنا هذه اللذة الحيوانية التى نكرس لها جهودنا ، والتى أصبحت غايتنا توجه أعمالنا وسلوكنا .

لقد فقدنا البطولة فى ميادين الفتح والغزو والمال والعلم فاستعضنا عنها بالبطولة فى هذا الميدان وأهون به من ميدان !

وناحية أخرى لها خطرها ولا نكاد نتنسمها فى جونا ، تلك هى رقة العواطف أو سمو الوجدان ، فالحب معناه الشهوة والصداقة لا تكون إلا لمنفعة ، والوفاء لغاية ، ومواقف اللقاء والوداع جامدة ، والتراسل بين الزوجين المفرقين لا تنبض بالحرقة والحنين ، ومحبة الوالدين واهنة ومعاملة الخدم قاسية .

فما دواعى هذه الموجة الزاحفة .

إذا كانت أخلاقنا عاداتنا فدواعى هذه المادية أننا لم نعود منذ الصغر ولم ننشأ فى جو مشبع بثراء الروح فلم نذق أو نشاهد الحب الخالص والصداقة السامية والوفاء المنزه والتعبير عن خلجات النفوس وحرارة الأكباد تعبيرا صادقا ليس فيه رياء أو تصنع ، والاخذ بيد الضعيف واليائس والمحروم .

فما أحرى الآباء والمعلمين والكتاب أن يكونوا المثل الأعلى والأسوة الحسنة فيما يسلكون أو يتحدثون أو يكتبون .

وأن يمهد الآباء الطريق لاستقلال أبنائهم الكبار ونهوضهم بالمسؤولية بأن يجعلوا لكل حجرة خاصة أو مكتبا خاصا ، وأن يعتمدوا الى الفتاة بمساعدة أمها فى الطبخ والكى والغسل والانفاق على المنزل ، والى الفتى بشراء بعض ما يلزم البيت وإصلاح ما فسد من أدواته وبهذا يعملون على نظامهم النفسانى ، وأن يمنحوهم الحرية — حرية التفكير والتصرف والاتجاه والسلوك فى حدود السلطة الأبوية التى أشرنا إليها فانى أذهب مذهب دؤلاء المربين الحديثين الذين ينزعون هذا المنزع ويدافعون عنه فى حدود الممكن لتقوية الشخصية والإفادة من التجاريب .

وإذا تهيأ الزواج للفتى فعلى الآباء أن يعملوا على إقامة العروس فى مسكن مستقل حتى لا ترى هذه العداوات والقلاقل والطلاق وبعض الزوج لحميها وتحريض زوجها عليهما فالزوج بفريزتها تعمل على السيطرة على بيت زوجها والأم ترى فى النزول عن سيادتها خدشا لكرامتها ، وتعديا على حقوقها مما يؤدى الى إتساع شقة الخلاف واستحكام العداء .

محمد مصطفى عطا

أستاذ التربية وعلم النفس فى برقة

# دعم الخلق فى الأسرة

للأستاذ محمد مصطفى عطا

قد يكون من العبث أن نأخذ فى الحديث عن دعم الخلق فى الأسرة قبل أن نهيئ لها عوامل الاستقرار والطمأنينة، وذلك بأن تحيا حياة تمكنها من العيش والإحساس بالانسانية.

ولست أدرى كيف يشيع الأمن والاستقرار فى أسرة يعولها رب يظل يكدح ويجاهد ولا يظفر إلا بما يمسك الرمق ويقيم الأود ولكن أنى له بالمسكن ؟ وأنى له بالكساء ؟ وأنى له بتعليم أبنائه والإنفاق عليهم وأنى له بتوفير الصحة لهم ؟ وأنى ... وأنى ... مما يجعله يعيش عيشة الإنسان الذى يحس ويشعر ويرى ويسمع ويعيش ويأمل، إنه ليحس أنه مهضوم الحق مهيض الجناح ، إذ يرى إنسانا فى الدولة يتقاضى راتبا يبلغ المائتين من الجنيهات يعيش عيشة البذخ والتنعم وهو لا يتجاوز راتبه مائتى قرش، فرق شاسع بين بضعة قروش وبين عشرات الجنيهات !!

أظن أن هذه الحال لا تؤدى الى استقرار بل تطبع هذه الأسرة بطابع التمرد والثورة النفسية ويخيم عليها التشاؤم والسخط على المجتمع ، ومن ثم يعيث أفرادها فى الأرض فسادا يرتكبون الجرائم ويقوضون دعائم المجتمع الذى يعمد إلى تعذيبهم وإيلامهم ومطاردتهم من غير أن يبحث أحوالهم ومصادر شرورهم وآثامهم .

وإنى هنا لا أزيد النار اشتعالا والثورة اشتدادا ولكن أدعو الى اماتة الفتنة والقضاء على جراثيمها وأصولها بتحديد الملكية الزراعية وفرض الضرائب التصاعدية على ثروات الأغنياء وذوى الدخل الكبير من أرباب المهن الحرة ، وأداء الزكاة التى هى حق للسائل والمحروم، ورفع الضريبة الجمركية على الواردات الأجنبية من الكماليات وفرض الضرائب على التركات الكبيرة ، وإعفاء صغار الملاك وذوى الدخل الصغير من الضرائب ، وصرف العلاوات الاجتماعية لذى الولد والولدين والثلاثة ، وإصدار القوانين لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر والأجير، وبين العامل وصاحب العمل وتشييد المؤسسات الاجتماعية والصحية لمحاربة المرض والفقر والجهل ، وأخذ الدولة بأسباب الصناعة وحماية المصنوعات الوطنية وتشجيعها ، وقيام الأندية الاجتماعية والدينية ببذل جهودها وحشد شبابها للتخفيف من هذه العقابيل والأمراض .

وإنا لنحيى هذه الحرب الحاضرة التى أيقظت الرحمة فى نفوس القادة والزعماء، فكان مشروع بيفردج فى انجلترا ومشروعات أخرى ظهرت فى أمريكا جلية فى كل بلد من بلاد العالم المتمدين للقضاء على هذه الأمراض الثلاثة، ونرجو أن يكون لهذه الدعوات صدى فى بلاد الشرق الموبوءة بهذه الأوبئة الفتاكة .

ومما يوقظ الفتنة فى الأسرة تعدد الزوجات وبخاصة فى الأوساط الفقيرة ، فكل زوجة تعمل على الكيد للأخرى والوقيعة بها وإحداث الشغب فى المنزل مما يحمل الزوج على الفرار منه إلى المقهى أو دور اللهو والخلاعة ، ثم يتجاوز الأمر ذلك إلى العداوات والخصومات التى تشب بين أهليهم وأبنائهم وإيجاد التفرقة والسخائم والاحن بين العشائر والأسر مما يهدد الأمن وينغص الحياة الزوجية .

وإذا أمعنا النظر فى الدين الإسلامى وجدناه يقف من هذه المسألة موقف العدل وبعد النظر، وإن كنا أسأنا تأويل أحكامه وتفسيرها وجعلنا خصوصيات النبى عليه السلام عمادا نعتمد عليه وأصلا نستمد منه، فقول الله تعالى بعد إباحة التعدد "فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة"، وضع للأمور فى نصابها، فكيف يستطيع الإنسان العدل المطلق والحكم النزيه مع قيام الكيد والدس وسيطرة المشاعر الإنسانية، بل إن آية الزواج لتشير إلى هذا تلميحا أبلغ من التصريح فى قوله تعالى "ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفاكرون" .

أما الإباحة فلا بد منها لأن هناك حالات لايجدى فيها قيام الزوجية كشدة المرض مدة طويلة والعقم والالتواء الخلقى وعدم الانسجام .

وأعتقد أن المرجع الأول لنشر الطلاق هو عدم تمسكنا بديننا الحنيف ورؤية الفتاة قبل العقد مع أنه يمكننا التغلب على هذه الصعوبة بتهيئة الفرص لتمكين الشاب من رؤية الفتاة والتحدث إليها عن طريق تزاور الأسر وأظن أن هذا طريق لاغبار عليه ويتفق وعادات المحافظين ، وإنه ليشجع الفتيان على الزواج المبكر ويحد من كثرة الطلاق الذى ينشأ عن جهل كل من الزوجين بالآخر وعدم تآلفهما وانسجامهما " والأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف" .

والغريب أن علم النفس الحديث يوجب هذا التعارف قبل الزواج ويحتمه ، استمع إلى قول الأستاذ ماندر فى هذا الصدد "يجب ألا تبلغ غرائز الزواج غايتها الاصلية حتى يكمل عمل المغازلة أى حتى تنجح أعمال التودد فى أن يؤثر فى الجانب الآخر لهفة متعادلة وحماسة متكافئة ولا يكفى لذلك مجرد الإذعان ، وكل تزاوج لاتسبقه مغازلة فعالة يتنافس مع الطبيعة ويعجز حتما عن إشباع الرغبة الجنسية بل وقد يؤدى إلى النفور .

وهناك أمر آخر يجب أن يلتفت إليه الآباء حتى لايوقعوا الخلاف والخصومات بين أبنائهم وذلك بعدم التفرقة بينهم وإيثار أحد على آخر أو قتى على فتاة فى الملبس والمأكل والمصروفات والعطف فأكثر العقد النفسية تنشأ عن هذه التفرقة .

وأن يجعلوا منازلهم سكنا لنفوس أبنائهم بتهيئة وسائل التسلية البريئة من اللعب المختلفة كالنرد والشطرنج والكتب الملائمة لأسنانهم وميولهم وغير المقررة فى مدارسهم حتى لا يفروا منها إلى مصاحبة رفاق السوء أو سلوك السبل الملتوية .

وأن يفرقوا بين الذكور والإناث فى المضاجع ، وبينهم و بين أبنائهم و إن كان الأخيرون صغارا حتى لا يثيروا فيهم تلك الغريزة الهوجاء — الغريزة الجنسية — قبل نضجها

وأن تكون عين الزوجين ساهرة على الخدم إذ كل هؤلاء الآن من الطبقات الدون التى لم تردعها تربية ولا دين ؛ فكثيرا ما يتهزون الفرص و يخلون إلى الصغار أو المراهقين ليشبعوا غرائزهم الجنسية فى غير تورع أو حياء .

و إنى لأرجع أكثر الفساد الخلقى فى الأمر الى هذه الأنواع الخبيثة التى تكون عوامل هدامة فى كيانها ، وما دامت هذه المشكلة لم تحل بعد فلنراقبهم جيدا ولا ندع لهم أية فرصة ليخلوا فيها الى الصغار أو المراهقين وأن ندقق فى اختيارهم و إن سخطنا أجورهم فالخسارة المادية ضئيلة إذا وازناها بالخسارة الروحية .

وأن تراقب الفتاة أو الفتى فلا يترك لهما الحبل على الغارب فاذا خرجت الفتاة صحبها أخوها أو أبوها أو أمها ، وأن يحاسب الفتى على مواعيده فلا يترك له المجال فى التأخر فى العودة الى منزله ليلا ، وأن تغرس عادة النوم المبكر فى نفوس الأبناء ، فكثير من الزلات والسقطات للفتى أو الفتاة إنما ترجع الى انعدام الرقابة أو تستر الأمهات على الأبناء أو القدوة السيئة من الوالدين .

وأن يجتنب الزوجان الخلاف على تربية طفلهما أمامه ، فاذا لام أحدهما الطفل على تصرف من التصرفات فليس على الآخر أن ينتقص من هذا اللوم أو يقلل من شأنه بأن يحتضن الطفل أو يلومه على ما بدر منه ، فالتعاون بين الزوجين يجب أن يسود جو الأسرة حتى لا يبلبل عقل الطفل أولا يعبأ بما يوجه اليه من مؤاخذة فيما بعد وقد رئى أن أكثر الأطفال المضطربين كان آباؤهم مختلفين على تربيتهم وتوجيههم وربما قام الأقارب بمثل هذا الدور إذ ينتقدون تصرفات الآباء مع أولادهم أمام هؤلاء الأولاد ، أو يؤوونهم فى منازلهم فلا يمكنون آباءهم من مؤاخذتهم .

وأن يعامل الزوج زوجه معاملة رفيعة تقوم على الاحترام والعطف لا أن ينظر اليها النظرة البدائية ، نظرية السيد للمسود أو النظرة البدائية البهيمية من أن المرأة ليست إلا للافتراش ، وأن يقيم لرأيها وزنا ويحافظ على كرامتها ، وأن يكون مهذبا فى خطابه وحديثه فلا يخلع برقع الحياء ، فان ذلك يؤدى الى الأسفاف والقحة ، فالخصومات والفرقة .

هذا السلوك المهذب له أثره كذلك فى الأبناء فيشبون عليه ويختفى من محيطنا هذه اللذة الحيوانية التى نكرس لها جهودنا ، والتى أصبحت غايتنا توجه أعمالنا وسلوكنا .

لقد فقدنا البطولة فى ميادين الفتح والغزو والمال والعلم فاستعضنا عنها بالبطولة فى هذا الميدان وأهون به من ميدان !

وناحية أخرى لها خطرها ولا نكاد نتنسمها فى جونا ، تلك هى رقة العواطف أو سمو الوجدان ، فالحب دعاه الشهوة والصداقة لا تكون إلا لمنفعة ، والوفاء لغاية ، ومواقف اللقاء والوداع جامدة ، والتراسل بين الزوجين المفرقين لا تنبض بالحرقة والحنين ، ومحبة الوالدين واهنة ومعاملة الخدم قاسية .

فتبا دواعى هذه الموجة الزاحفة .

إذا كانت أخلاقنا عاداتنا فدواعى هذه المادية أننا لم نعود منذ الصغر ولم ننشأ فى جو مشبع بثراء الروح فلم نذق أو نشاهد الحب الخالص والصداقة السامية والوفاء المثمر والتعبير عن خلجات النفوس وحرارة الأكباد تعبيرا صادقا ليس فيه رياء أو تصنع ؛ والاخذ بيد الضعيف والبائس والمحروم .

فما أحرى الآباء والمعلمين والكتاب أن يكونوا المثل الأعلى والأسوة الحسنة فيما يسلكون أو يتحدثون أو يكتبون .

وأن يمهد الآباء الطريق لاستقلال أبنائهم الكبار وتهوضهم بالمسؤولية بأن يجعلوا لكل حجرة خاصة أو مكتبا خاصا ، وأن يعهدوا الى الفتاة بمساعدة أمها فى الطهو والكى والغسل والانفاق على المنزل ، والى الفتى بشراء بعض ما يلزم البيت وإصلاح ما فسد من أدواته وبهذا يعملون على تنظيمهم النفسانى ، وأن يمنحوهم الحرية — حرية التفكير والتصرف والاتجاه والسلوك فى حدود السلطة الأبوية التى أشرنا إليها فانى أذهب مذهب دؤلاء المربين الحديثين الذين ينزعون هذا المنزع ويدافعون عنه فى حدود الممكن لتقوية الشخصية والإفادة من التجاريب .

وإذا تهيأ الزواج للفتى فعلى الآباء أن يعملوا على إقامة العروس فى مسكن مستقل حتى لا نرى هذه العداوات والقلاقل والطلاق وبعض الزوج لحميها وتحريض زوجها عليهما فالزوج بغريزتها تعمل على السيطرة على بيت زوجها والأم ترى فى النزول عن سيادتها خدشا لكرامتها ، وتعديا على حقوقها مما يؤدى الى إتساع شقة الخلاف واستحكام العداء .

محمد مصطفى عطا

أستاذ التربية وعلم النفس فى برقة

# نفسية المقامر

## كما يحللها أناتول فرانس

حافز خفي، ولكنه قوى ذلك، الذى يدفع بالمقامر كل مساء إلى موائد الميسر ... وهو حافز الآمال تزدحم فى خياله وتتسابق فى ذهنه كما تتسابق جياد السباق ... فالميسر شيطان يزين لصاحبه كل لحظة أمالا جديدة تتسلسل إلى غير نهاية .

يحلم المقامر أول ما يحلم باقتناء القصر الجميل ، وربما أسعفه الحظ وأسعدته المصادفة فكأنما هو والقصر على موعد ، بعد ذلك لا بد لهذه الأبهاء الفسيحة وما تشتمل عليه من وثير الرياش من مورد يكفل لها البقاء . لا بد إذن من اقتناء الضيعة التي تدر على صاحبها ذهبا وفضة ، والضيعة هنا طويلة عريضة لأنها من رسم الخيال ومن نسج الشيطان . فاذا ما استقرت بجانب القصر ضيعته ظن الرجل أن المستقبل فى طاعته فأوغل فى طمعه مجددا فى آماله وإن لم تتجدد ، وأغراها حظه الباسم — وما أدرى أن الحظ صديق غادر — بالإغراق فى أمانيه حتى إذا ما انتهى به المطاف إلى البحث عن أتفه ما يشتهى كثمن سيارة توصله من قصره إلى ضيعته إنهار للاسف — بل وبالأسف — كل شيء دفعة واحدة وعاد الرجل كما بدأ .

وهنا لا يعرف الندم إلى صاحبنا سبيلا ، إنه حتما عائد إلى ما كان فيه ، إنه سيجدد المحاولة ، لذلك تراه يتأسى ويعاتب نفسه على خطئه فى فن اللعب ، إنك تسمعه يهمس فى نفسه ( أنا الذى أخطأت ) .

ولم لا يكون الخطأ عنصرا متفاعلا فى طبيعة الميسر ... ؟

ان كانت هذه هى الحقيقة فى نظر العقلاء فهيهات أن تكون كذلك فى نظر المقامر ، وهو الذى أنزل الميسر من نفسه منزلة القديس المعصوم من كل خطأ وعيب .

ترجمة وتلخيص

محمد أبو النور بدير

مدير إدارة مكافحة البطالة

# ضبـــط النفس

للأديب محمد عبد الكريم

جلونا فى مقال سابق بعض ما يورده المشتغلون بالنفس والاجتماع من أساليب لتوثيق الصلة بين أفراد الجماعة والسلوك الذى يكسب المرء صداقة من يعاملونه أو يحتكون به — واليوم نعرض لعامل آخر له فى بناء الشخصية مثل ماله من أثر فى تكوين مجتمع صالح ذلك هو ضبط النفس .

فالعقل الذى سودنا إنما يقوم على إدراك وعاطفة ووجدان . وتلك القوى لا تؤتى أثرها طيبا إلا عن نفس يحسن قيادها ويحكم ضبطها وتوجيهها . وككل كائن حى يهدف الإنسان فى حياته الى غايتين . حفظ نفسه ، وبقاء نوعه وهو يعزز لتحقيق هاتين بغرائز موروثة تضفى عليها البيئة وممارسة العيش طباعا مكتسبة — ولكل من هذه الغرائز وتلك الطباع مظاهر وصور ، وغرائزنا الأربع عشرة كما عددها ماك دوجال Mac Dougall ينم عن وجودها انفعالات تبدو ظاهرة كلما أثيرت الغريزة بمؤثر خارجى — فغريزة المقاتلة مظهرها إنفعال الغضب ، والوالدية مظهرها الحنو ، وغريزة الهرب ينم عنها الخوف ، والسيطرة آيتها الزهو .

## معنى ومدى ضبط النفس :

ولما كان نجاحنا فى الحياة وتحقيق أملنا فى العيش الآمن السعيد موكول الى حد بعيد بحسن سلوكنا وأحكام التسلط على أفعالنا الوجدانية مما تثير العواطف والانفعالات ، لذلك كان ضبط النفس من أهم ما ينبغى أن يعنى به الفرد كعنصر فى كيان مجتمع مدنى يربطه النفع المتبادل والصالح المشترك برباط وثيق من التكافل والتعامل ، وليس ثمة بحث أولى من عناية قادة الفكر من مشرعين ومصلحين ، وحكماء ومربين مثل مالق ضبط النفس — وإذا كانت الشرائع سماوية ووضعية قد هدفت الى توجيه البشرية الى التحابب والتعاون والمعاملة المهذبة ؛ فقد أقامت كلها بالتشريع حدا للنفس وانفعالاتها ، وأجمعت الأديان على مقاومة الهوى وعرفته بالأفعال والانفعالات الشاردة التى تسئ الى الفرد ذاته أو غيره — وذهبت الهندوكية الى اعتبار ضبط النفس ركنا فى تثليثها الدينى "الحب ، الصدق ، وضبط النفس" إلا أنها اخطأت إذ أسرفت فى معنى ومدى ذلك الضبط إذ جعلته فى محاربة العواطف والانفعالات بما فيه تعذيب للبدن وحرمان له مما ينفعه زعما أن الروح لا تقوى إلا بقدر حرمان الجسد من رغائبه ومطالبه .

على أن ضبط النفس فى شرعة الفكر السديد ليس فى مقاومة كل انفعال هو فى الحقيقة مظهر تلك الغريزة التى يحتمها ضرورة الحياة — إنما الضبط يقوم على الحد من جموح العاطفة ومنع شرود الانفعال بحيث لا نبدى إلا ما يستوجب الوضع ويستلزمه مقتضى الحال .

وانفعالاتنا فى مجال أحاسيسنا كما يصورها الأستاذ ليفيت Leavitre فى بحث له بمجلة سيكلوجى أشبه ما تكون بحركة بندول الساعة تتأرجح يمنة ويسرة ولكنها فى حركتها تلتزم دواما مدى واحدا ومحدودا بالجانبين لا تتعداه ولا يمكن أن تتعداه مالم يصبها تلف أو يتسرب إليها عطب .

فنحن إذا غضبنا وتجاوزنا بالغضب مجرد التعبير عن الأشياء لنقوم بفعل إيجابى شارد كالسب أو الضرب لمن لا سلطان لنا عليه ، أو كتحطيم ما حولنا نكون قد خرجنا بانفعالنا عن النطاق الأمثل للغضب وتجاوزنا حدوده إلى السفه أو إلى الجنون .

ونحن إذا سايرنا انفعال الخوف إلى المغالاة فى تقدير العواقب ، ووقفنا أمام كل مسألة مترددين متهيبين جاز للناس أن يصفونا بالجبن ويتهمونا بالعجز والضعف .

والتفريط والإفراط كلاهما ضار ، فثمة أوضاع تستلزم الغضب كالغضب للحق أو للكرامة ، وأخرى تستوجب الخوف والإحجام كالخوف من خطر مرجح والاحجام عن صفقة تغلب خسارتها ، فضبطنا لمشاعرنا ينحصر فى ما نلتزمه من الاعتدال فى إبداء كل انفعال وفى الرجوع إلى العقل قبل السلوك دون التقيد بما يفعله الغير ولا الانقياد لمادة من العادات .

## الأضرار النفسية للانفعالات :

تخلق الانفعالات فى مبدئها بالتكرار عواطف ونزعات تكيف شخصيته وتصبح بالممارسة طابعا له وخلقا متأصلا فيه ، فيقال هذا حسود وذاك غضوب أو شرير — وسائر الانفعالات ضارة بوجه عام ، فكم من فرصة تضيع وصداقة تفقد بل وآثام وجرائم ترتكب لا لسبب سوى عدم إحكام ضبط النفس واتباع الهوى — كذلك الشأن فى سوء العادات فالمرء يجد من ضميره عند أى مسلك حكما صادقا على صلاح ذلك المسلك أو فساده ، ولكنه كما يقول تولستوى يضعف من شأن ضميره باغتياله طاعته ، فإذا استمرأ العصيان المرة بعد المرة فقد الضمير هيبته واستسلم الرجل لعاداته وأهوائه — فإدمان الخمر والمخدر والميسر والتدخين واستباحة العدوان على مال الغير أو أعراضهم واستشعار البغض والحسد والكيد للناس ، كل أولئك وليدة انفعالات تكرر مرة فمرة ثم لا تلبث أن تصبح نزعات وطباع دائمة متأصلة .

وللعادات السيئة وهى تبدأ دواما بانفعال ميعثه حب التقليد أو التماس لذة وقتية دون اهتمام بالعاقبة — لهذه العادات كذلك أضرار نفسية لا تخفى ، فهى تبدأ تقليدا أو عملا شاردا

يستبيح المرء اتيانه، واذا ارتكبه سهل عليه تكراره المرة بعد المرة، وهكذا تخلق العادة التي تتأصل اليوم بعد اليوم وتأسر المرء وتصيره تابعا أعمى يعمل ما يضره دون أن يقوى على كبح جماح نفسه .

## الانفعالات تخلف سموما حقيقية في أجسامنا :

إن تقلص وجوهنا و إحمرار أعيننا وتقطيب أساريرنا أو انبساطها واصفرار بشراتنا أو احتقانها وارتجاف أطرافنا أو ارتخائها كل أولئك دليل على ما يحدثه الانفعال النفسي من أثر في جهازنا الجسماني .

وسواء أكان الانفعال نتيجة لهـذا التغير كما تؤكد نظرية جيمس ولانج أو أن التغير الجسماني هو النتيجة التابعة للانفعال كما كان الرأى السائد ، فن المسلم به أن الانفعال يلازمه تغير، وأن هذا التغير يحدث أثرا جسمانيا ينصب بصفة خاصة على الأعصاب وعلى القلب ومجارى الدورة الدموية ذات الصلة الوثيقة بالجهاز الهضمى وعلى الغدد ذات الأفراز الداخلي .

تأمل مثلا انفعال الغضب تره يبدأ بهزة عصبية أثر إشارة من المخ يعقبها تدفق الدم الى الرأس، ثم انصراف جانب منه الى غدة فوق الكلى (الغدة الادرينالينية) ثم افراز هذه الغدة للسائل الادرينالينى يلازم ذلك خفقان سريع في القلب وارتجاف ملموس في الأطراف واصطكاك الأسنان ثم ارتخاء وتصبب للعرق . فاذا هدأت العاصفة بقى السائل الادرينالينى وهو سم يفرز ليحفز الانسان ويساعده على الفتك بغريمه — بقى هذا السائل أو السم القتال بالجسم . واذا اعتاد الانسان الغضب نمت الغدة الادرينالينية فيه نمو محسوسا وزاد بالتالى أفرازها فتشتد نوبة الغضب حتى تفقد المغضوب أحيانا وعيه فيقدم على القتل أو الاجرام، وتخلف من جانب آخر مقدارا متعاظما من السم يفنى الجسم ويهدمه .

والانفعال يستلزم اجتذاب الدم أكثره الى الرأس، فيبطئ سير وظائف الأعضاء الأخرى وخاصة الجهاز الهضمى فيرتبك عمل المعدة و يقل افراز الكبد والطحال و يحدث الأمساك الذى يخلف سموما في الامعاء تسرى في الدم يؤدى اذا أزمن الى فقر الدم والهزال ثم الى الموت أو الجنون .

## كيف تسيطر على عواطفك وانفعالاتك :

صحة الجسم أساس كل مقـدرة — الجسم البشرى ككل جهاز لا يمكن أن يؤدى وظيفته ما لم تكن دقائق أعضائه سليمة خالية من كل عطب .

# نفسية المقامر

## كما يحللها أناتول فرانس

حافز خفي، ولكنه قوى ذلك، الذى يدفع بالمقامر كل مساء إلى موائد الميسر ... وهو حافز الآمال تزدحم فى خياله وتتسابق فى ذهنه كما تتسابق جياد السباق ... فالميسر شيطان يزين لصاحبه كل لحظة آمالا جديدة تتسلسل إلى غير نهاية .

يحلم المقامر أول ما يحلم باقتناء القصر الجميل ، وربما أسعفه الحظ وأسعدته المصادفة فكأنما هو والقصر على موعد ، بعد ذلك لا بد لهذه الأبهاء الفسيحة وما تشتمل عليه من وثير الرياش من مورد يكفل لها البقاء . لا بد إذن من اقتناء الضيعة التى تدر على صاحبها ذهبا وفضة ، والضيعة هنا طويلة عريضة لأنها من رسم الخيال ومن نسج الشيطان . فاذا ما استقرت بجانب القصر ضيعته ظن الرجل أن المستقبل فى طاعته فأوغل فى طمعه مجددا فى آماله وإن لم تتجدد ، وأغراها حظه الباسم — وما أدرى أن الحظ صديق عابر — بالإغراق فى أمانيه حتى إذا ما انتهى به المطاف إلى البحث عن أتفه ما يشتهى كثمن سيارة توصله من قصره إلى ضيعته إنهار للاسف — بل وبالأسف — كل شىء دفعة واحدة وعاد الرجل كما بدأ .

وهنا لا يعرف الندم إلى صاحبنا سبيلا ، إنه حتما عائد إلى ما كان فيه ، إنه سيجدد المحاولة ، لذلك تراه يتأسى ويعاتب نفسه على خطئه فى فن اللعب ، إنك تسمعه يهمس فى نفسه ( أنا الذى أخطأت ) ؟

ولم لا يكون الخطأ عنصرا متأصلا فى طبيعة الميسر ... ؟

لئن كانت هذه هى الحقيقة فى نظر العقلاء فهيهات أن تكون كذلك فى نظر المقامر ، وهو الذى أنزل الميسر من نفسه منزلة التقديس المعصوم من كل خطأ وعيب .

ترجمة وتلخيص

محمد أبو النور بدير

مدير إدارة مكافحة البطالة

لايخطىء ، وقد ضمن الإيطاليون أثر التمهل فى قولهم : من تمهل أمن وقطع شوطا أبعد Qui va piano. va sano et va lontano ، ولم يغفل العرب أثر التأنى فمن قولهم "فى العجلة الندامة وفى التأنى السلامة"، ومن قولهم: "أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" — ولعل أكثر الناس ضبطا لأنفسهم هم الإنجليز وهم بطبعهم هادئون ثابتو الجنان يعملون كما يقولون "ببطء ولكن بإتقان" "Slowly butsurely" ، وما انتصروا أو حكموا أو ملكوا إلا بالنفس الهادئة التى غلبت بضبطها قوة النار والحديد .

## تزوج إن كنت أعزبا :

وقد يكون غريبا أن نشير على الأعزب بالزواج كعلاج للإنفعالات والعواطف الشاردة، ولكن هذا مايقرره علماء النفس الحديثون وفى مقدمتهم فرويد وأدلر ويونج، ذلك بأن الأعزب أحد اثنين، كابت ممتنع أو مرتضى التشرد الجنسى، فالأول يجد كبته فى الإنفعالات منفذا يضفى على الإنفعال حدة وشدة ، والثانى يخلق التشرد الجنسى فيه قلقا نفسيا يكسب الإنفعالات ذات الحدة والشدة .

لذلك ينصح المشتغلون بالنفس كل شاب يشعر بشرود انفعالاته أن يتزوج — ففى الزواج استقرار يهدئ نفسه ويهذب شارد عواطفه .

والحاسة الجنسية مشردة أو مكبوتة هى كما يثبت علم النفس الحديث مصدر اختلال كبير فى العواطف والانفعالات — فالجبن والقلق واليأس والاكتئاب والأفراط فى الغضب أو الرضى وكافة المتاعب النفسية التى يعانيها الشباب تجد فى الزواج فى كثير من الأحيان ما يزيلها أو يخفف من حدتها

## جند قواك لمحاربة ضعف نفسك :

يقول بيرس Pierce الارادة رغبة عن شعور حقيق To will to wish consciously فأنت حين ترغب وتضع هذه الرغبة موضع تفكيرك دواما وتصل كما يشير Haddock مابين عقلك الباطن وشك ترى الارادة قد نمت فاكتملت، وتراك تعالج النقص فى غير ما تردد .

كان بنيامين فرانكلين وهو من أبطال تحرير أمريكا وأحد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة السابقين فى إبان شبابه خامل الذكر ضعيف الارادة كثير الزلل .

إختلى بنفسه يوما وأخذ يتأمل ما كان عليه من نقص وما يرجوه ويطمع فيه من مستقبل، فوجد ألا سبيل إلى تهذيب نفسه إلا بدوام مناقشتها الحساب فيما كسبت أو اكتسبت .

كان يرى أن التاجر الذى يريد الكسب لا يستقيم له أمر إلا إذا أحصى كل يوم ماله وما عليه، فعمد بنيامين إلى كراسة صغيرة وحدد لكل يوم صحيفة فيها، فإذا كان وقت النوم يبدأ يستعرض أخطاءه فى يومه و يضع بالقلم تحديدا لكل خطأ ارتكبه نقطة سوداء فى صحيفة اليوم معللا النفس بالاقلال من هذه النقط السوداء فى غده .

ظل بنيامين على هـذه الحال مـدة طويلة، كانت صحائفه خلالها تزداد كل يوم بياضا حتى جاء عليه وقت انعدم فيه أو كاد ينعدم سواد تلك الصحائف، وعند ذلك رأى الناس بنيامين الطائش، إن لم يكن هو قد رأى نفسه رأوه رجلا فاضلا بل مثالا فى النبل والأخلاق الكريمة فرفعوه وسودوه وكان منه الزعيم الكبير الذى قل أن يجود بمثله التاريخ — هذه هى النفس وهذا هو سبيل إصلاحها ورحم الله البوصيرى إذ قال .

والنفس كالطفل أن تهمله شب على     حب الرضـاع وإن تفطمه ينفطم

ولا يفوتنا إذ نختم هـذا البحث أن نشـير إلى الايحاء الذاتى auto-suggestion كأسلوب فعـال فى رتق كل ضعف نفسى، فأنت حين تتأمل كيف سهل على غيرك ممن هم دونك علما وعقلا أن يسيطروا على مشاعرهم وأهوائهم وأن يجنبوا سفينة حياتهم ما تتعرض لها من أخطار لتثير — بتأمل سير الناجحين — رغبتك فى استكمال ضعفك ثم تنتقل هذه الرغبة مختمرة إلى الارادة والتنفيذ، إذا فعلت رأيتك تسير إلى اصلاح نفسك ذللا، ورأيتك تتحكم فى عواطفك وأهوائك بروح قوية وجنان ثابت وفؤاد مليء العزيمة والأقدام .

محمد عبد الكريم

# ليون تولستوى

## المصلح الاجتماعى

(١٨٢٨ — ١٩١٠)

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

قدر لقرية "ياسنايا بوليانا" الروسية أن تشهد أرضها أعظم حادث فى تاريخ روسيا فى أواخر القرن الماضى ، ففى اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس ١٨٢٨ ولد فيها الفيلسوف الكبير والمصلح العالمى الخالد الكونت "ليون تولستوى" أول ارستقراطى نادى بالاصلاح وجاهر بالمساواة واعتنق العدل والإخاء .

ولقد أرادت الأقدار لحكمة فى نفسها أن تنبع الثورة الاصلاحية من بيت يليه عراقة ونبل محتد ، يتفرع من أصل ألمانى عريق عاصر بطرس الأول وتنساب منه الى جميع بقاع العالم قوانين العدالة ، على الرغم من أن أمثال تلك الأسر كانت هى الطالمة وهى القوة الغاشمة . . . عجبا . . . لقد أشرق العدل من دياجير الظلم فخرج الى الكون قطب العدالة وحجة الاصلاح "تولستوى" .

ولو تدبر الباحث فى تاريخ تولستوى لوجد أنه خلق ليؤدى رسالة معينة ، رسالة خلقت مع جسده ، لم تخلقها الظروف ولا الحوادث ، بل هى فى لدم نفسه ، وأن كانت الحوادث قد ذكتها ونفخت فيها من روح الايمان ، وصهرتها فى بوتقة التجارب ، واتخذت وقودها من صفحات الأيام وأحداث الزمان .

فمن ذا الذى يقول أن صبيا لا يتجاوز الثالثة عشر من عمره يؤلف جماعة يسميها "اتحاد النوع الإنسانى" تتضمن فى عنوانها الأهداف التى تسعى إليها؟ ومن ذا الذى يعتقد أن العقل والمعرفة هما اللذان أمليا على الصبى "تولستوى" أن يجعل شعار جماعته غصنا أخضر يرمز الى الصفاء والسلام ، ولكى يضمن له الخلود ينبته فوق قمة الجبل ! ! ثم هو فى نهاية عمره يوصى بدفنه فى تلك البقعة ، بقعة الصفاء والسلام واتحاد النوع الانسانى ؟ ! ! إنه الإلهام ، الإلهام الذى يمنحه الأنبياء والقادة ، هو الذى وجه تولستوى ، وهو الذى وصل تفكيره وهو صبى — فنرس الغصن الأخضر — بتفكيره وهو شيخ فأوصى بأن يرقد حيث رقد الغصن الأخضر ، وهكذا شاءت الأقدار .

ها هو ذا "تولستوى" يدرج الى الخامسة عشر من عمره فيلتحق سنة ١٨٤٣ بجامعة "قازان" مع إخوته ، ولكنه سرعان ما يعاف تلك الحياة التى يحياها أقرانه فى المدينة إذ هم

يحيون حياة المترفين الذين لا يجدون مانعا يحول دون رغباتهم ، أنهم شباب ، وشباب أغنياء فى أيديهم ثروات طائلة ، "وقازان" عامرة بالملذات ، فهل يمكن لمن هو مثل "تولستوى" ، لمن يدور بالعقيدة والأحلام اللذان خلق لها أن يرضى بهذه الحياة ؟ ! كلا ، ها هو ذا الصبي يبرم بحياة "قازان" ويتركها غير آسف عليها .

ثم ها هو ذا يلتحق بمدرسة اللغات الشرقية ، ولكنه لا يلبث حتى يبرم بها أيضا ثم يلتحق بكلية الحقوق ، ولكنه ينصرف عنها كذلك ليحاول دراسة الدين والتاريخ ، ولكنه لم يفلح فقد تأثر بفكرة أن التاريخ القديم لا فائدة من دراسته ، أما أن يدرس الدين فهذا أيضا ما يأباه ، إنه يؤمن حقا بالكتب السماوية الأربع ولكنه لا يؤمن بطريقة تطبيق المسيحية ، فينصرف عن تلك الدراسة وعن الدراسات جميعا وينتهى عهده بها .

إنه فنان ، إنه صاحب رسالة ، رسالته فى روحه ، والروح القوية لا تحتاج إلى ما يحثها ، ثم ما الذى كان يستطيعه أى أستاذ يريد أن يفرض تعاليمه على "تولستوى" أنه خالق لكى يكون أستاذا ، أستاذا لجيل ولروسيا وللعالم ، ولا يجوز لمثله أن يتلقى العلم من تلاميذه أساتذة المدارس والجامعات .

هاهو يرجع إلى قريته ، وهناك يتلقى علومه على يدى عشيرته وأبناء بلدته ، لا بل هو يتلقاها عن كسرة الفلاح ، وعرق العامل وكد الفقير ولوعة المحتاج ، وإن كان فى الحقيقة لا يتلقى معارف أو علوم ، وإنما هو يبحث عن الفرصة التى يتدفق فيها طموحه المكبوت ورسالته الانسانية السامية .

إن مجاعة "قازان" فى تلك السنة كانت الشرارة التى نبهت فى نفس تولستوى ما يعتمل فيها من أفكار وثورات ، فتراه بعدها يحاول أن يجد حلا لتلك المشكلة الخطيرة ، مستندا إلى آراء "جان جاك روسو" ، ولكن عبثا ، فان مثل الانقلاب الذى توحى به أفكار "روسو" لا يتم فى زمن وجيز كما يتصور تولستوى ، فما يلبث أن ينصرف عن هذا العلاج بعد أن أنفق ستة شهور يحاول فيها علاج ما ترسب فى النفوس فانطبعت عليه من هزيمة وظلم .

ومصلحنا من النوع الذى يتأثر شخصيا بالموضوعات التى يتصدى لها ، فهو عندما أخفق فى إيجاد الحل الذى يرضيه ويرضى طموحه برم بالاقامة فى البلاد فرحل إلى "بطرسبورج" وقد ربا فى نفسه الألم حتى لم يعد يتألم ، وتولد من فرط الألم نزوع إلى الترف والملذات ، ومن ثم فها هو "تولستوى" ينغمس فى الملذات والهوى بشكل جنونى ويندفع فى تيار المترفين يقلدهم فى لهوهم ومجانتهم حتى بزهم وتغلب عليهم . ولكن هذا العهد لم يطل فقد ضايقه ذلك البذخ والترف السخيف ولذلك تراه يقول فى مذكراته "وكنت أعيش كالحيوانات والسائمة : لا أطالع ولا أكتب حتى وصلت إلى أحط درجات الانحطاط الأدبى ، وهذا طبيعى لشاب يريد الطموح والمعالى فيقابل بالسخرية والهزوء" .

ويمضي تولستوى إلى القوقاز حيث يخرج أول انتاج له قصة "الطفولة" سنة ١٨٥٢ وبهذه الرواية يطرق أبواب المجد فتتفتح له عيون الحكمة .

تتتابع بعد ذلك صفحات المجد فى تاريخ تولستوى فهى أحيانا تبدو مرصعة بروايته الخالدة "سيباستوبول" أو مزدانة بالقصة الاجتماعية الكبيرة "آنا كارنينا" وغيرها وغيرها من القصص القصيرة والرسائل الاجتماعية الفذة والمشروعات الاصلاحية الناضجة حتى بلغ تولستوى قمة المجد وامتلك ناصية الأدب والاصلاح ، فجاءت قصة "البعث" تراثا أدبيا واجتماعيا خالدا على مدى العصور والأجيال .

"لست أدرى أين إذن العبقرية والنبوغ إن لم تكن قصة "البعث" هى عنوانها" . بهذه العبارة علّق أحد الكتاب الأمريكيين بعد أن فرغ من مطالعة تلك الرواية الخالدة ، التى أبكت روسيا أعواما ولا زالت حتى الآن تنتزع الدموع من مآق أصحاب القلوب الصلدة فى مختلف بقاع العالم .

إن قصة "البعث" تراث إنسانى محض ، هى قصة الحياة بصورها المتناقضة وحكمتها الساخرة وأوضاعها الماجنة ، ومن ثم فهى قصة نسجت حبكتها يد أجادت صوغها فأضفت على المخلوقات بالتالى نوعا من الفضائل السامية والتضحيات الغالية والآلام والكفاح لتحقيق المثل العليا وانكار الذات والملذات فى سبيل راحة الضمير وهدوء البال .

ها هو تولستوى فى براعة الكاتب اللبق والمصلح المدقق يحاول أن يخلق فى نفوس الشباب روحا عادلة تنأى عن الظلم وهى فى عنفوانها فتأباه ، حتى إذا قطعت مراحل الحياة المستقبلة اشمأزت منه وحققت العدالة والانتصار للحق والفضيلة . فنراه فى قصته يضفى على بطله "نيكليودوف" ثوبا من الكمال فيقف نفسه اجتماعيا على يدى فيلسوف الانجليز العظيم "هربرت سبنسر" فيجعله ملما بعقائده كلها ، مؤمنا بنظرياته فى ملكية الأرض بالرغم من امتلاكه الأراضى الواسعة والضياع الكبيرة الشاسعة ، ثم هو فى موضع آخر يستنكر على لسان بطله ما ينطوى عليه نظام توزيع الأرض من ظلم وافتئات حتى أنه ينشىء رسالته فى نهاية تعليمه على " ملكية الأرض " .

ولكن تولستوى كاتب من كتاب الحياة الواقعية بحلوها ومرها وخيرها وشرها ، فنراه لا يخدع بما يبدو فى نفس بطله من روح نزاعة إلى العدل والحق ، بل هو أيضا من البشر ، والبشر من التراب والطين وميولهم كذلك ترابية ، فلن يلبث حتى يخلق منه حيوانا يتربص بالفريسة حتى يقتنصها وينشب فيها أظافره ثم يلفظها بعد أن يمجها .

ولن تنطلى على القراء تلك المعاذير التى حاول بها تولستوى أن ينفى عن بطله صفة الجريمة بقوله " ان نكليودوف قد حاول أن يدافع عن مبادئه السامية ونفسه العالية ، ولكنه

وجد أن الخير فى نظره هو الشر فى نظر الناس . وأن الشر فى نظرهم هو الخير فى نفسه . فلم يلبث أن ألقى سلاحه واندفع فى عالم المجانة وانسلك مضطرا ضمن أعوان الرذيلة والاثم والمعصية " .

يتضح لنا إذن أن تولستوى إنما يصور فى النوع الانسانى ناحيتى الخير والشر ، ويؤيد لنا صدق ماذهبنا اليه أنه جعل من بطلته " كاتوشا " فتاة ساذجة تبهرها النظرات الساجية والشباب القوى والكلمات المنمقة . ثم هو يعود فيحدثنا " فيرا ديكوفا " تلك الفتاة الصغيرة الفقيرة التى لم تصب من العلم إلا قليلا ، نراه يصور لنا فى نفسها روحا قوية ممزوجة بمناعة لا تتأثر بسحر الرجولة ولا ببريق الذهب أو بما يغرى المرأة من المظاهر الدنيوية التى تمتاها . وفى قوة ومضاء تتقدم من البطل الثرى الجميل الأمثل فتقول له " علمت أنك متناه فى الغنى غارق فى الثراء ، تنثر المال بغير حساب فيما لا ينفع ولا يؤتى ثمرا ، وأنا أريد نفع بلادى ولكننى لا أستطيع ذلك . لأنى لا أمتلك مالا يساعدنى على تحقيق بغيتى . أترضى أن تقرضنى مبلغا من المال يكون دينالك فى عنقى حتى أتم دراستى ؟ وأظن أنه لا يضرك أنت يامن تنفق أموالك فى الإثم والعبث أن تعمل يوما خيرا يذكر لك فتقدنى مايوازى الأربعة جنيهات . وإذا رفضت فلا بأس عليك " .

أنه تناقض فى الشخصيتين لامرأتين الأولى ساذجة جاهلة ، والأخرى متوقدة الذكاء واسعة الحيلة جريئة شجاعة وهى مع ذلك لا تفضل الأولى علما إلا فى القليل النادر . ألم أقل أنه كاتب يعيش فى الحياة ويخضع لنواميسها وأطوارها ؟ .

ولكن تولستوى ليس بالمتشائم الذى يساير الحياة فى اقرار نهايتها المعهودة السخيفة فيسير فى الطريق الطبيعى ويختم به حياة أبطاله ، فنراه فى النهاية يغلب الخير على الشر فى النفوس ويخلق من المخطئين شهداء وأبرار ، ويجعل من الفساد هاديا الى الصلاح فينقذ النوع الانسانى من وهدة الانحطاط والمطامع والظلم والاستعباد .

وتضيق بنا الصفحات لو تناولنا ما تحويه قصة " البعث " من لمحات فنية ومنابع اصلاحية لا ينضب ماؤها ولا تفنى عذوبتها فنكتفى بما ذكرنا لكى نخرج الى تولستوى وهو فى قمة مجده حيث بشر العالم بسفره الرائع " مساوئ المجتمع وعلاجها " الذى ألفه فى أواخر أيام حياته ، ففيه وضع تولستوى دستورا جديدا فى الاصلاح إذ تناول ( ١ ) الملكية الزراعية ( ٢ ) العمل والعمال ( ٣ ) نقطة البدء فى الاصلاح ، وغيرها من الموضوعات الحيوية التى تتصل بالعدالة الاجتماعية وتعطى الفرد حقه قبل الحكومة ، وتعطى الحكومة سلطتها الحقيقية قبل الفرد .

فها هو تولستوى يمجد الزراعة ويعتبرها أم الحياة فتراه يقول " المعيشة من الأرض والتقوت مما تثمره هى أهنأ معيشة لبنى الإنسان وأوفر سعادة فى استغلال حياته " ثم هو يقول فى موضع

آبخرق مجال التفاضل بين الزراعة والصناعة "إن الارتزاق مما تنتجه الأرض لا يمنع العمال من الاشتغال بالصناعة في بيوتهم أو معاملهم ، وإذا فرضنا وقام هذا العمل ـ أي الزراعة ـ حائلا بينهم وبين الصناعة ، فليس يفيدنا أن تقل صناعة الآلات عديمة النفع بل الضارة بالمجتمع الانساني العاملة على التخريب والتدمير والفتك ، تلك التي تدور عليها تروس الآلات بسرعة فائقة في المعامل والمصانع ، ولو زاد الانتاج الزراعي بأنواعه فان ذلك لن ينقص بحال من ثروة الشعب أو من احتياجاته ، فالشعوب أحق بما يبعث فيها الحياة القوية لا بما يسلبهم إياها".

وفي موضع آخر نرى " تولستوى " يتحسر على العصر الذهبي للاصلاح الاجتماعي ويرى أن القوانين والمعاملات في العصور السابقة — أي قبل الملكية الفردية — أحسن وأعدل من قوانين العصر الحاضر ، وإن الفرد في الماضي كان أسعد حظا وأهنأ بالا من الفرد في العصر الحاضر .

وقد حاول كذلك غيره من العلماء إثبات وجود هذا العصر الذهبي بالأدلة العلمية ، ثم التجأوا للاساطير المحكية والقصص الدينية وقالوا بأن ما يروى فيها جميعا من أخبار ذلك العصر الذهبي دليل على وجوده . وقد عرّفوه بأنه " سابق للملكية الفردية ، سابق لانقسام الناس شيعا وفرقا وأحزابا بدافع المطامع الذاتية والمنافع الخاصة بعد أن كانوا جميعا أخوة أبناء أسرة واحدة تربطهم رابطة الجنس الانساني والعالم الأرضي .

وهذا لا يمنعنا من أن نذكر أن بعضا آخر من العلماء أخذ ينقض آراء تولستوى في هذا الموضوع واعتبر أن هذه النزعة مصدرها الحنين إلى الماضي الجميل وذكرياته وشباب الانسانية وقوتها وفتوتها ، ورغبة في الهرب من الحاضر المحفوف بالمكاره والمتاعب وقد كان لجان جاك روسو بمؤلفاته أثر عظيم في تقوية هذه الفكرة . وهذا ظاهر في كتبه وخصوصا رسالتيه المشهورتين " العقد الاجتماعي Le contrat Cocial والثانية " أصل التفاوت بين البشر ".

ولكن العلماء الذين عاصروا تولستوى يقولون بل ويؤكدون أن العصر الذهبي لم يوجد ولم يمض ولكنه آت ... ... وكل آت قريب ...... على أنه لن يبزغ على الأمم وهي راقدة أو طائرة في سماء الأحلام أو غارقة في بحار الخمول ، بل هو يشرق على الأمم الحية الناهضة اليقظة العاملة ، لاق الصباح عقيب النوم العميق ، ولكن عصرا عندما يشارف العامل على إتمام عمله ويتصبب جبينه عرقا وتبرز شرايين أذرعته تعبا من أثر العمل والجهاد ، فهو إذن مكافأة العاملين اليقظين ، والأمم العاملة هي التي تنسج برد مكافآتها وتنال جائزة عليها بعد أن تحيك كل خيط من خيوطها وتتقن نظم سداها ولحمتها .

وفى هذا المعنى يعجبنى قول "سان سيمون" الفرنسى حيث قال «لقد شاء خيال الشعراء أن يجعل العصر الذهبى فى مهد العقل الانسانى، أى فى وسط الجهالة والغلظة والفطرة وهو لعمرى عهد طفولة الإدراك البشرى الأجدر به أن يكون عصر الحديد لا عصر الذهب، فإن عصر الذهب الانسانى ليس وراءنا فى الماضى بل هو أمامنا فى المستقبل. إنه ثمرة الكمال الاجتماعى لم يتمتع بها آباؤنا ولعل أولادنا يصلون اليه يوما ما ولكنهم لن يصلوا اليه إلا إذا رسمنا لهم الخطة ومهدنا لهم السبيل».

هذه هى قسمة العصر الذهبى كما حدثت تقريبا فى القرن التاسع عشر، ونتبين منها أن العلماء يتطلعون إلى الكمال، ومنهم من يراه وراء ظهورهم وهم ما يصح أن نسميهم بالمتشائمين ومنهم من يرونه أمامهم وهم ما نسميهم بالساخطين الآملين، كما نرى أن تولستوى كان وسطا بين أولئك وهؤلاء، فهو ليس بالمتشائم الجامد، ولا بالساخط الثائر لأنه وسط بين هذا وذاك إذ تحسر على الماضى قائما لكى يدعو إلى استكمال الحاضر وإصلاح أحوال الناس باصلاح شؤونهم.

ويتفق تولستوى فى نظرية الأخذ بيد الطبقات الفقيرة مع الفيلسوف الانجليزى الكبير "هربرت سبنسر" فيلسوف القرن التاسع عشر فنراه يقول فى كتابه "مناصرة الحرية" "إن حظ الأغلبية كان وما يزال محزنا إلى درجة أن المفكر لا يستطيع التأمل فى حالهم دون أن يعتريه مزيد من الكدر... ولا ريب عندى فى أن النظام الاجتماعى الحالى نظام مشؤوم ولا ينظر اليه إنسان محب لجنسه بعين الرضا! وكذلك جهود الناس التى تبذل فى ظل هذا النظام تستدعى السخط ولا تنال إعجاب أحد، فان التمييز بين الناس بالدرجات والفروق العظيمة فى وسائل الحياة تدل على بعد المسافة بين الحقيقة والخيال وسلوك الناس تحت ضغط الحياة الاجتماعية الحاضرة وتحت تأثير ما تستلزمه من التهيج مما ينفر كل ذى طبع سليم".

وهذا أيضا رأى فيلسوف عظيم لا يقل فى نبوغه عن عظمة تولستوى المصلح، وقد استوحى هذا الرأى بطبيعة الحال من طول التأمل فى أحوال البشر والنظر فى مختلف شؤونهم، ودرس أطوارهم وتطورهم من أصل خليقتهم إلى نظام معيشتهم فى هيأة اجتماعية منظمة.

وإن من ينظر فى آراء تولستوى نحو إصلاح حال الطبقات الفقيرة، يدرك فى الحال أنه يرى مظالم المجتمع الحالى ويدركها ويشير اليها ويرجعها إلى سوء تقسيم الثروة وإلى تفضيل الحسب والنسب على الكفاءة الذاتية، ويقول إن أغلبية الناس تئن من ظلم الحياة الاجتماعية الحاضرة، ثم هو بالتالى يحمل الحكومة مسؤولية هذا الوضع مشتركة فى ذلك مع أصحاب رؤوس الأموال، ثم يعود بالملامة كذلك على الطبقات الفقيرة ذاتها فيطلب منهم أن يصلحوا

من شأنهم بالتطور وهو استرداد الحقوق ، وهـذا هو الذى أرادت الأقدار والحوادث أن نشاهده فى البلاد الأجنبية .

إن فى حياة تولستوى لصفحات خالدات يعجزنا أن نتبع أيامها أو ساعاتها أو دقائقها ، فان هذا يحتاج إلى سفر كبير ، فهذا المصلح الكبير قد عاش حياة لم ينفق منها لحظة واحدة دون أن يستغلها لخير الانسانية والعمل على سعادة الآخرين ، ولذلك فنحن نتعجل السنوات والأيام فى حياة ذلك العبقرى لكى نرافقه فى أواخر عمره بعد أن وزع أراضيه بين الفلاحين وجاء بكل ما يملك فى سبيل نصرة قضيته ، حتى إنه عرض حياته يوما قربانا متواضعا على مذبح الانتصار للعدالة وللطبقات المظلومة وقد قال " هاك رأسى أقدمها بكل اغتباط بعد أن طال بها الزمن فدية لمواطنى الأعزاء " ! !

برم تولستوى بحياته وضاقت نفسه الكبيرة بما يراه فيها من أوضاع شائنة وظلم صارخ واشمأزت نفسه من رفاهية زوجته وعائلته ، فعول على الهرب من أسرته ، ولحكمة الأقدار كانت الليلة التى نفذ فيها هذه الفكرة — التى طالما خامرته — ليلة ممطرة شديدة البرودة ، فاحتمى فى الطريق ببيت ناظر محطة " ستابوفو " ولكنه كان قد تأثر بالجو الصاخب ، وما هى إلا بضعة أيام حتى توفى كاتب روسيا العظيم متأثرا بالالتهاب الرئوى .

وهكذا انطفأ السراج الذى أضاء العالم الأرضى ليشرق فى العالم السماوى مشعل العدالة وليظل أبدا وهاجا يلتمع فى ضيائه اسم " تولستوى " المصلح الاجتماعى .

زينب محمد حسين

## أقوال مختارة

١ — إن الانسان لكى يكمل نماؤه يحتاج إلى كل العناصر الحية التى تؤلف بين أجزاء حياته المتخالطة وهذا هو السبب فى أن غذاءه يجب أن يزرع فى حقول مختلفة ، وينتج من منابع متفرقة

" تاغور "

٢ — أحرار الفكر هم الذين يستخدمون عقولهم دون ما غرض وبلا تحيز وفى غير ما خوف أو رهبة من فهم الأشياء التى تصطدم بعاداتهم وتقاليدهم وامتيازاتهم ومعتقداتهم.

" تولستوى "

# الرياضيون فى خدمة المجتمع

## أو الزكاة عن العافيـة

للأستاذ عريان يوسف سعد

أريد أن أعترف قبل أن أتقدم بهذه الكلمة أنى واثق كل الثقة أنها ستحدث رسالة مخنقة، وأنها تقدم للناس أو للرياضيين على الأصح رأيا لا يكاد يقف على قدميه، بل لعله رأى لا قدمين له فيقف عليهما، ولعل هذا الضعف الذى أعتقد أنه سيبدو عليه هو الذى حببه إلىّ وحملنى على أن أحمله هذه الكلمة معرضا نفسى لما يتعرض له صاحب الرأى السقيم مما لا يحب الكاتب أن يتعرض له لأنى أحب مناصرة الضعيف إن بدالى فى ثنايا ضعفه الحق .

وكذلك لأن أوسم الآراء ذيوعا وانتشارا لم تكن أقواها عند بزوغها يوم جهر بها أصحابها بل إن من أثبتها على الزمن ماذهب أصحابها ضحيتها ، فتلهم الناس لفرط مابدا على آرائهم من سقم وغرابة كأنها السقط لاشبه بينه و بين المولود الصحيح .

ولست أريد أن أدعى أن هذا الرأى سيذيع ذيوع تلك النظريات الواسعة الذيوع وان كنت أتمنى له ذلك .

بعد هذا التمهيد أرانى لا أزال بحاجة إلى تمهيد آخر . ذلك أننا إذا رأينا رجلا انبسط له الرزق فكثر ماله وزاد على حاجته فعمد إلى الكماليات فلم يكتف منها بما يكتفى به أمثاله ، بل راح يسرف فى انفاق ماله فى أغراض لا فائدة فيها إلا أن تظهر للناس ثراءه وبسطة رزقه فقدنا فيه ذلك السرف وقلنا لو أنه أنفق ذلك المال فيما يعود على رقاق الحال بالنفع بل إن هذا النقد قد دخل دائرة التشريع فأصبحنا نسمع عن قوانين " د الدخل فإن زاد عن الحد دخل الزائد بيت المال .

لم أرد بكلمتى أن تحمل رأيا فى المال الزائد فقد سبق كما قلت الكلام فيه بل التشريع له ، إنما ذكرت المال لأنه فى نظرى قوة من القوى تكلم الناس عنها وتركوا غيرها .

إنما أردت الرياضى القوى المعجب بجمال جسمه وقوة عضلاته يعمد إلى رياضته التى يحبها فيها رسما حتى يتصبب العرق من جبينه وحتى يدوى له المكان بالهتاف والتصفيق إعجابا واستحسانا ، أليس مثله كمثل الفنى المفرط الفنى يدفع مائة ألف من الجنيهات ثمنا لصورة يعلقها على جدار غرفة فى منزله يكفيه من ضياع تلك الثروة تريد الناس خبر شرائه تلك الصورة التى لا يحوى قصر غنى من الاغنياء مثلها ، إذن فهو بطل الأغنياء فاز عليهم " بضربة قاضية " .

وهـذا الصحيح الجسم المفتول العضل رفع من الحـديد ما لم يرفع غيره من الأقوياء أمثاله، ففاز عليهم وغلبهم على لقب البطولة .

لقد استسغنا توجيه اللوم إلى الأغنياء الذين يتبارون فى إنفاق المـال فيما لا يعود على الناس بالنفع ، فاذا جئت اليوم أوجه اللوم إلى الرياضيين يسرفون فى استعمال قوتهم فيما لا خير فيه إلا أن يرفع ذكرهم بين الأقوياء وحولهم من رفاق الحـال من ينوء بحمله لا يجد له عليه عونا ، لو أن هؤلاء الأقوياء مدوا اليهم يد العون يساعدونهم فى حمل أعبائهم ويرفعون عنهم بعض الشيء وهم فى نفس الوقت يتريضون و يكسبون قوة على قوتهم ولكنه كسب مزدوج، عضلات تنمو وثواب يكسب .

أقول لو أن هذا الرياضى القوى الجسم المفتول العضل وجه قوة عضله إلى مساعدة ذلك الضعيف الذى يعصر جسمه الضئيل ليؤدى عملا يعينه على كسب القوت أما يقـدم بعمله هذا للانسانية المحتاجة بعض العون .

هذا مجمل الرأى وهو كما ترى لا شكل له كأنه حجر المعدن، وسأحاول أن أصهره وأعطيه شكلا يجعل له قيمة المعدن المستخلص من الحجر .

يمر المترو كل يوم مسرعا فأرى من نافذته تلك الحقول الصغيرة وأرى رجالا يسقون تلك الحقول بالشادوف ، فأتأمل تلك الحركات التى يعمد اليها الرجل فاذا هى رياضة كاملة فيها الجذب والانحناء والرفع، وأذكر كيف أنى وأنا أقوم بتمارين الصباح لا أظفر منها بمثل ما يظفر بهذا الرجل من عمله .

وكم من مترف حول هؤلاء يستخرج عضلاته فى الصباح والمساء لنوع أو آخر من الرياضة اكتسابا للقوة واحتفاظا بالصحة .

وكنت قبل هذه المرحلة من مراحل الحياة أقطع المسافة عدوا من كوبرى قصر النيل إلى كوبرى عباس إلى الجيزة إلى كوبرى قصر النيل (الخديوى اسماعيل الآن)، وهى مسافة تبلغ الستة كيلو مترات ، فاذا انتهيت منها أنا وزملائى سررنا أننا قمنا برياضتنا المحبوبة العنيفة، وكان يقابلنا رجال وأطفال يبدو عليهم الهزال يجر الواحد عربة يد عليها نوع من الخضار أو القصب ويدفع طفله العربة من الخلف وهما يلهثان لا يرحمان أنفسهما لأن الصراع فى سبيل الحيـاة لا يرحمهما وعليهما أن يصلا ببضاعتهما فى الصباح قبل أن يضيع وقت السـوق .

لو أنى وزملائى العدائين بدل أن نجرى حتى ينهكنا التعب عمد كل منا إلى عربة من تلك العربات فدفعها خلف صاحبها نصف ساعة أما كان فى ذلك من الرياضة ما لا نجده فى العـدو من الناحية الرياضية ؟ نعم ولكنا بجانب الرياضة قد أسدينا لذلك المكدود يدا ترفه عنه بعض بؤسه .

وفى حقبة قبل تلك كنت أشترك فى سباق الزوارق وكنت وكأن زملائى فى تلك الرياضة نبذل من الجهد فى الجذف ما كنا نفرح به لأنه رياضة نافعة للصحة مكسبة للقوة، ولكن كم من البحارة يجذف طول يومه لينقل مستأجريه من ضفة إلى ضفة ولو أعانه أمثالنا على عمله لاستراح بعض الشىء .

وقس على ذلك فروع الرياضة كلها إنها لم ولا تكسب الانسانية من المجهود الذى يبذل فيه قليلا ولا كثيرا .

هذه الجهود الضائعة مثلها كمثل مال ذى الرزق الواسع ينفقه على التحف والنوادر من الأشياء التى تصبح بعد قليل حين يعتادها ويعتاد رؤياها شيئا عاديا لا يستهديه ولا يفكر فى النظر اليه . ألا ترى حارس الآثار لا يشعر نحوها بشىء من اللذة التى تملك مشاعر من يراها لأول مرة ؟

هذه الجهود التى نضيعها، نحن الرياضيين، ثروة تحرق كل يوم قربانا على مذبح الغرور.

* * *

لعل القارئ تسرب الى ذهنه أننى أحمل على الرياضة وأدعو إلى مقاطعتها ومحاربتها لكى ينصرف الناس إلى حمل أعباء العمل المنتج مع من يحملونها من المضطرين لحملها فى سبيل كسب القوت .

ولكننى لا أقصد شيئا من ذلك بل إن الرياضة عندى لا تعدلها خصلة من الخصال بل إنها فى نظرى يجب أن تكون اجبارية على كل فرد، بل إننى أعتقد أن من الخير أن يفرض على الموظفين — وهم فى مجموعهم أحوج الناس إلى الرياضة — ان يقوموا قبل بدء عملهم كل يوم بشئ من الرياضة ولو خمس دقائق .

ولكن الذى أقصد اليه هو أن يسن الرياضيون سنة جديدة لمن بلغ مرتبة عالية من القوة وجمال الجسم، ذلك أن يعاونوا المجهدين فى عملهم بغير أجر طبعا يرفهون عنهم ويكسبون قوة على قوتهم على أن يقللوا من الرياضة .

لا بد أنك ستتخيل تلك الشواديف حول القاهرة يعمل فيها الرياضيون، ولابد أنك ستتخيل عربات اليد الثقيلة الأحمال يجرها أولئك المكدودون ووراء كل عربة رياضى يدفعها فتضحك لسخافة الرأى، فالرياضى رجل له مكانته واحترامه وما هو ودفع العربات.

ولكنك لو نظرت الى الرأى من ناحية ذلك المكدود الذى يجر العربة وكلما خطا خطوة زاد ثقل العربة خلفه حتى يعييه الجر فيقف يتلمس فى الوقفة شيئا من الراحة او أنك فكرت فيه وهو يهم بالوقوف لأنه لا يقوى على الجر فاذا بالعربة تدفعه وما عليه إلا أن يسير فينظر

خلفه ، فإذا ملاك رحمة قد هبط عليه فحمل عنه عبئه . لو أنك نظرت إلى الرأى من ناحية هذا المكدود ورسمت السعادة التى تفيض على روحه المريرة فسعدها لغيرت رأيك لما رأيت فيه رأيك الأول .

ولكن هذا لا يمكن أن يتم إلا إذا فكر فيه الرياضيون وعمدوا إلى تنظيمه حتى لا يكون من يعمل هذا العمل أضحوكة الناس .

لعل مثلا أو مثلين يقربان هـذا الرأى الغريب قليلا من العقل لا يصبح رأيا يعمل على تنفيذه ولكن ليكون فكرة يصح أن تناقش أو تقلب وجوهها .

أما المثل الأول فهو نشأة جمعية الإسعاف التى أصبحت حقيقة من حقائق الحياة لا يفكر أحد فى التفكير فيها .

كان الرجل يسقط فى الشـارع لأى سبب فلا يجد من يهتم به إلا أن يمـر به شرطى فيتحايل على نقله أو يتركه لأهل الشفقة يتولون أمره كل على قدر تفكيره .

وتطوع رجلان لانشاء جماعة قليلة للاسعاف تطورت حتى أصبحت على مانرى مؤسسة لا تستطيع الأنسانية الحياة بدونها .

وضجرت فضليات السيدات بحياة الخدور وتضييع الوقت فيما لا خير فيه فأخذن يطفن ببيوت الفقراء يسدين النصح والمعونة لزميلاتهن المحتاجات من ربات تلك البيوت ونشأت من هذه العاطفة الخيرة كل جماعات السيدات .

فلم لا يوجه الرياضيون أقوياء الأجسام مفتولو العضل شيئا من قوتهم وقوتهم إلى مساعدة المكدودين من الرجال الذين فى عملهم رياضة لمن يمارسه بعض الوقت .

إن فى حمل الأثقال وفى كثير من المهن إرهاقا للقائمين بها ، وإن فيها رياضة لغواة الرياضة ولكن مساهمة الرياضيين فيها تكسبهم بجانب الصحة سعادة لاحد لها إذا ما عمدوا إلى أولئك ، المكدودين فرفهوا عنهم .

هذا هو الرأى الذى أعرضه ليس وليد اليوم ، ولكنه ساورنى طويلا ، فعسى أن يكون له شىء من الحظ فيناقش أو ينفذه الرياضيون كل جماعة فى محيطها .

بقيت كلمة أخيرة وهى أن الأنسان إذا ساعد فى نوع من العمل مما يأنف أن يؤديه لتفاهته وتفاهة أجره ولانحطاط مستوى القائم به بالنسبة للرياضى المحظوظ الميسور ، إن الانسان إذا ساعد فى عمل من هذا النوع لم يكن كسبه قاصرا على رياضته البدنية للجهود الذى يبذله ولكنه يعتقل النفس و يرشدها إلى آفاق من الإحساس لا عهد لها بها .

إنه علاج للغرور والكبرياء الزائفة التى تملأ كثيرا من النفوس لأنها تعتقد أنها من طينة غير طينة هؤلاء المكدودين .

وإنه علاج كذلك لتلك النفوس المحطمة التي تنظر إلى الطبقات المنعمة نظرة الحقد والكراهية ، فإنها إن رأت منها ذلك العون أكبرتها وأكبرت مروءتها .

قرأت في مجلة رياضية تطبع في أمريكا — قبل الحرب طبعا — أن كثيرا من الشبان الرياضيين ممن لايزالون في الجامعات أو ممن يعملون في مكاتب البنوك والشركات يقضون إجازتهم السنوية لاعلى شاطىء البحر ، ولكن في حقول القمح والذرة ، يحصدون ويعملون في الحقول ، فيجمعون إلى الحياة في الهواء الطلق لذة العمل الجديد والتعرف إلى أهل المزارع والوقوف على دقائق الحياة في الريف ويحصلون مع ذلك كله أجرا لابأس به ، لأن أجر العامل في الزراعة هناك يكاد يقارب أجر العاملين في المكاتب .

كانوا يتريضون رياضة صحية عنيفة ، وكانوا يكسبون من رياضتهم مالا لابأس به ، ذلك لأن المال كان هناك وافرا والأيدي العاملة قليلة .

ولكننا هنا لنا شأن آخر ، العمال كثيرون وعملهم شاق وأجرهم تافه ، فإذا أراد الرياضيون مد يد العون فلا بد أن يكون عونهم للعمال عونا بغير أجر يرفعون عنهم بعض العبء وهم في ذلك يتريضون .

لو أن هذه الفكرة قلبت وجوهها فأخذ بها الرياضيون ، وبدأنا نرى معسكرات الرياضيين مضروبة في القرى المجاورة لهم يساهمون في العمل حيثما شاءوا لوجدوا في ذلك رياضة لا حد لفائدتها ولوجدوا فرصة لدراسة شئون الريف والتعرف الى أهله ، يسدون لهم من النصح ما عن لهم أن يسدوه .

ولكن لهذه المساعدة شرطا لابد من الإنتباه اليه وإلا انقلبت منافسة يستغلها أصحاب العمل ، ذلك ألا يترتب على تلك المساعدة إنتظار صاحب العمل لجهودهم فيحرم أجيره الأصيل من أجره ، إنما يجب أن تكون المساعدة خاطفة لاموعد لها ولا انذار بوقوعها .

وشيئا آخر أريد أن أنبه إليه وهو أن هذه المساعدات أنى كانت ليس من شانها أن تصرف أهل كل رياضة عن رياضتهم والنبوغ فيها ، إنما هي توجيه جديد للفائض من النشاط والقوة هي تطبيق لمبدأ الحكيم في قوله تعالى : ( ينفق ذو سعة من سعته ) ، فلم لا ينفق ذو السعة في القوة شيئا من قوته في مساعدة الضعيف كما ينفق العالم شيئا من علمه في مساعدة الجاهل ؟ فليست السعة في المال وحده .

لقد بسط الله للرياضي رزقه من القوة وإن لله على الناس حقا هو الزكاة تدفع من الرزق والكسب ، والقوة التي كسبها الرياضي تجب عليها الزكاة وإذا كانت تلك الزكاة لم تنظم من قبل فذلك لأن الرياضة لم تكن تعرف على أنها باب لكسب الصحة ، أما وقد عرفت وعرف كسبها فلم لا يدفع الكاسب منها صدقة تطهره وتزكيه ؟!

أريد أن يكون للرياضيين من الثواب وشرف التبرع للانسانية ما للغنى الذى يكد ويجد لجمع المال، فاذا جمع منه ما يزيد على كفايته تبرع منه للمحتاجين إليه صدقة وإحسانا مشكورا لهم فى الدنيا والآخرة .

والرياضى الذى يجهد نفسه فى الرياضة يكسب من كده وتعبه أثمن ما فى الوجود، أعنى القوة وصحة الجسد وجماله فاذا أحسن الغنى إلى الفقير بشىء من ماله المكسوب، فلم لا يتبرع الرياضى من ثروته المكسوبة وهى القوة بشىء للضعفاء وهم منه كالفقير من الغنى .

وكما أن الغنى يعمل لجمع المال ثم يتبرع منه بشىء للفقير، كذلك يجب على الرياضى الذى يسعى لجمع القوة عن طريق الرياضة إذا حصل على ما يجب من قوة أن يتبرع بشىء منها للمحتاجين إليها بأن يساعد واحدا من الضعفاء على إنجاز عمله .

لو أن أعضاء كل ناد خرجوا بعد الفراغ من رياضتهم إلى الطريق فما وجدوا مجهدا فى عمل إلا ساعدوه فيه لكان ذلك تبرعا منهم لا يقل قيمة عن تبرع الأغنياء بالمال، لأن المال إن ساعد فى الترفيه عن الفقراء بمدهم بما يحتاجون إليه من كسوة أو طعام فان هذه المساعدة من الرياضى ترفه عن الفقير برفع جزء من العبء عن كاهله وتنيله شيئا من الراحة لو أراد أن يتمتع به من غير المساعدة التى هبطت عليه من سماء الرياضة لقل انتاجه الذى فرض عليه طول الوقت الذى يستريحه فقل أجره بنفس النسبة، وإذن فمساعدة الرياضى لها قيمتها المالية بطريق غير مباشر .

لو أن الرياضيين فى كل ناد نظموا تلك المساعدة ووجهوها إلى من يستحقها لشعروا بعد قليل بشكر أولئك المجهدين ، ولكانوا إلى قلوب تلك الطبقة من البشر أحب من سائر الناس ولشعرت تلك الطائفة بفائدة الرياضة البدنية فكانوا خير دعاتها وكانوا سببا فى تعشق أولاد الفقراء لها، فيغشون الساحات الشعبية بتحمس لها هم وأهلهم الذين يرون كيف تحسن الرياضة إلى أمثالهم .

هذا أفق جديد أرجو أن تجوبه الأقلام عسى أن يكون فيه خير ، وعسى أن أكون قد بالغت فى وصفه الذى وصفته به فى أول هذه الكلمة ؛

عريان يوسف سعد
بمجلس الشيوخ

# كيف يكون مسكن الفلاح ؟

أدلى بحضرة الأستاذ محمد سعيد جمجوم مدير الشركة المالية والاقتصادية
إلى مندوب الجريدة التجارية المصرية بالحديث القيم الذى ننشره فيما يلى :

---

فى اعتقادى أن البرنامج الحكومى لتوفير مساكن صحية للفلاحين يجب أن يدرس على أساس آخر بحيث يجعل المساواة مكفولة بين جميع سكان القرى فى القطر كله مع قصر المعونة المالية الحكومية على الحد الذى يضمن هذه المساواة، وفى نفس الوقت يتناسب مع ميزانية الدولة ، ويكون عماد نجاح هذا البرنامج متوقفا على مدى استعداد الأهالين أنفسهم وطموحهم الى الأقامة فى منازل مستكملة أسباب الصحة والراحة، فلو أن الفلاح ليس لديه هذا الاستعداد للتطور لكان من غير المجدى إسكانه منزلا صحيا إذ سيتحول هذا المنزل بعد إقامه قصيرة المدى الى مأوى قذر تتافه النفس ولا يمتاز عن المسكن الردئ الحالى إلا فيما يختص بمظهره الخارجى الذى إن دل على شىء فعلى مقدار ما يستطيع بعض الفلاحين من أتلاف وسوء عناية كنتيجة للجهل وعدم اعتياد السكنى فى الأماكن النظيفة الصحية وانعدام الرغبة فى الاحتفاظ بها والمحافظة عليها ، والذى يجب اتباعه هو أن تضع الحكومة برنامجا على الأساس الآتى :

أولا — يجب أن تكون أول خطوة تخطوها الحكومة الامتناع عن بيع الاراضى التى تملكها قرب القرى المختلفة ولا سيما ما كان من تلك الأراضى واقعا فى شمال تلك القرى، وذلك نظرا لأن تلك الأمدادات المحتملة والمستقبلة للقرى الحالية يمكن أن تتم فى تلك الأراضى، فاذا كانت حركة المبانى لمساكن الفلاحين الحديثة قد تكاثرت وأقبل عليها عدد كبير من السكان فى قرية ما من هذه القرى أمكن للحكومة أن تقسم أرضها بجوار تلك القرية الى مساحات صغيرة مناسبة تخترقها الشوارع والميادين الملائمة فتبيعها الحكومة للأهلين بأسعار منخفضة ليشيدوا عليها مساكنهم، وبذلك يمتنع تحكم أصحاب الأراضى فى راغبى البناء بتحديد أسعار عالية ثمنا لأراضيهم ويبتعد عنصر المضاربة عن الموضوع، وهو ما قد يقف حقبة كأداء فى سبيل الخطوة الأولى لبناء مساكن الفلاحين .

والإحصاء التقريبى للأراضى اللازمة لامداد القرى الحالية فى القطر المصرى كله هو حوالى ٢٠٠,٠٠٠ فدان (مئتى ألف فدان)، وذلك على اعتبار إقامة ثلثى سكان كل قرية فى منطقة الامتداد والثلث الباقى تستمر إقامته فى القرية بعد تنظيمها وشق الشوارع فيها ليتخلل مساكنها الحالية الضوء والهواء وبطبيعة الحال يكون هناك مجال كبير لتحسين حال

السكان المقيمين فى القرية الأصلية ، إذ أن هجرة الكثيرين منهم الى منطقة الامتداد يتيح للباقين فيها فرصة السكنى فى البيوت التى خلت من سكانها والتى قد تكون أحسن حالا من بيوتهم ، وبذلك تتم حركة التعاور والانتقال التدريجى لكل سكان القرية سواء من انتقل منهم الى المنطقة الجديدة أو من بقى منهم فى القرية القديمة ، فكلهم يشعر انه انتقل من حال إلى حال أحسن دون مفاجأة قد لا يكون الفلاح مستعدا لها أو راغبا فيها . ويترك للزمن ومضى السنين الوصول بمساكن جميع الفلاحين الى مستوى الجودة والنظافة الذى نرجوه لهم جميعا .

هذا ولما كانت الحكومة لا تملك فى كثير من القرى مناطق تصلح للامتداد فمن الميسور لها — إما عن طريق المبادلة بأراض أخرى من أملاكها أو بالشراء ان استلزم الأمر — الحصول على أراضى الامتداد المطلوبة وهى لن تخسر فى ذلك شيئا ما دامت الأرض ستباع بعد ذلك لراغبى إنشاء المساكن الحديثة من أهل القرية المجاورة ، على أن حركة تملك الحكومة هذه لا بد أن تمشى شيئا فشيئا مع الزمن بما يلائم الظروف ، أما امتناع الحكومة عن بيع أراضيها القريبة من القرى الحالية فيجب ان يتم فورا .

ثانيا — أما الخطوة الثانية التى ينبغى للحكومة أن تخطوها فهى التشجيع المالى لراغبى إنشاء المنازل الصحية الريفية على المضى فى عملهم سواء كان الغرض من انشائهم لتلك المنازل هو مجرد الاستثمار بتأجيرها أو للاقامة فيها ، ويتخذ هذا التشجيع شكل قروض محدودة بضمانة المنشآت نفسها على أن تقسط القروض على آجال طويلة و بفائدة صغيرة .

ولما كان من العسير أن تقوم الحكومة بنفسها بهذه العملية إذ هى من خصائص البنوك ، فمن الميسور للحكومة الانتفاع بقسم التعاون فى وزارة المالية للوصول الى هذا الغرض مع إجابة رغبة هذا القسم فى إنشاء بنك التعاون الذى طالما طالب به ، وتكون عملية الاقراض خاضعة لاشراف بنك «قسم التعاون» ، والواقع أن هذا القسم هو أكبر الأقسام الحكومية اتصالا بالفلاح ، كما أنه يشرف اشرافا دقيقا مشبعا بروح الأرشاد الصادق المخلص على أعمال الجمعيات التعاونية التى أنشئت فى مختلف قرى ومدن القطر المصرى وهى آخذة فى النمو التدريجى .

فانشاء بنك التعاون وتسخير شطر من ماله ( وليكن مبدئيا مليونين من الجنيهات ) لاقراضه تشجيعا لأعمال مبانى المساكن الصحية فى القرى أسوة بما تقرضه الحكومة الآن للجمعيات التعاونية باشراف قسم التعاون لشراء الأسمدة والبذور الصالحة وما الى ذلك تحل

جزءا كبيرا من المشكل ، ولا سيما إذا تحدد تسديد الأقساط المستحقة من تلك القروض مع الأموال الأميرية التي يجبيها صرافو القرى .

ولا شك فى أن تركيز عملية الأقراض لأنشاء المساكن فى بنك التعاون سيكون مدعاة لحسن الأشراف على المقترضين وعلى مدى صلاحية كل منهم للاقتراض ، إذ الواقع أن المقترض الذى يسعى إلى انشاء مسكن حديث لاقامته أو لاستثماره يكون فى المستوى الذى يجعله يقدر قيمة الجمعيات التعاونية والفائدة المرجوة منها ، فيكون من باب أولى عضدا فيها قبل أن يكون مفكرا فى إنشاء المسكن الحديث .

أما من جهة رأس المال الذى سيخصص للأقراض على ذمة المبانى والذى يقترحه جمجوم بك و يقدره مبدئيا بمليونى جنيه فيمكن تدبيره من الاحتياطى العام للدولة دون المساس بالميزانية العادية ، وبذلك يرتفع العبء الباهظ الذى تستلزمه تلك المنشآت عن ميزانية الدولة ، و يكون الأهلون هم الذين يقومون بتكاليفه تعاونهم فى ذلك الحكومة عن طريق تقديم القروض بأسهل الشروط فى حدود الحاجة لتلك القروض ، وإذا زادت مع توالى الزمن الرغبة فى الانشاء فمن الممكن زيادة رأس المال المخصص للأقراض عن مليونى جنيه على ألا يكون لهذه الزيادة أى مساس خطير يؤثر على التصرف فى احتياطى الخزانة العامة .

ولا شك فى أن انتشار الرغبة بين الأهلين وتعميم الفكرة بينهم عن طريق معاينتهم للمنشآت الحديثة التى أقيمت فى قراهم سيحفزهم لتحمل بعض التضحيات فى سبيل إنشاء مساكن لهم أسوة بالآخرين ، فيدبرون المال اللازم لذلك حتى لو أقلعت الحكومة بعذر من ما عن الأقراض لهذا الغرض ، ولذا يحتمل ألا يزيد المال الذى تخصصه الحكومة للاقراض زيادة كبيرة عن المليونى جنيه الأولى .

ثالثا — تأتى بعد ذلك الخطوة المهمة فى انشاء المساكن نفسها بعد تدبير المال والأرض اللازمة للانشاء ، ولا شك أنه يوجد لدى الحكومة الكثير من وسائل المعونه الفنية فى هذا الباب ، فلديها من جهة ادارة البلديات التابعة لوزارة الصحة وهى الجهة التى تتكفل بعمل التصميمات بانشاء كل المبانى المختلفة اللازمة لمعظم بلديات القطر ومجهوداتها العظيمة فى هذه الناحية جديرة بكل تقدير وشكر ، كما أنه تتبع وزارة الأشغال مصلحة المبانى التى تقوم بعمل تصميم و إنشاء وصيانة جميع المبانى الحكومية فى القطر كله ، و إن مالهاتين المصلحتين الحكوميتين ( إدارة البلديات ومصلحة المبانى ) من الخبرة الطويلة بأعمال الانشاء فى مختلف بلاد القطر المصرى يجعل منهما الدعامة القوية التى تسترشد بها الحكومة فى وضع تصميمات منازل الفلاحين الحديثة ، على أن تستوفى جميع الشروط الصحية والاقتصادية معا ،

فتجعل تصميم منازل كل منطقة يتناسب مع ظروف السكن بها ، وتستعمل فى إنشائها مواد البناء المتوفرة فيها والتى اعتاد البناءون استعمالها فى المبانى المختلفة ، ولخبرة بكل ذلك أثر محمود فى توفير أيدى الصناع لكل منطقة دون الحاجة الى ترحيل الصناع من منطقة إلى أخرى لما لهم من خبرة خاصة فى نوع معين من الإنشاءات ليس للصناع فى المنطقة الأخرى أى دراية به . فاتباع هذه الخطة من الانتفاع بصناع كل منطقة فى إنشاء مبانى المنطقة نفسها يؤدى بطبيعته إلى تنشيط حركة البناء ومنع العطلة بين صناع كل منطقة كما يؤدى الى الاقتصاد فى أجور نقل العمال ومواد البناء فى منطقة إلى أخرى ، وفى شراء المواد الأولية اللازمة للبناء ، وما دامت كل هذه العناصر قد توفرت وروعيت فى التصميم الأول للمساكن ، فلا يبقى إلا مراقبة إنشاء المساكن نفسها فى الطبيعة ، حتى تتم المساكن على الوضع المرغوب فيه من حيث جودة الصنع ودقة مراعاة التصميم الأصلى .

ومن الميسور أن تعهد عملية مراقبة الانشاءات إلى تفاتيش المبانى التابعة لمصلحة المبانى والموجودة فى الوجهين القبلى والبحرى ، وبذلك يتسنى الانتفاع بمفتشى المبانى وهم من كبار موظفى الدولة ، وبمرءوسيهم من المهندسين والملاحظين فى هذه الأعمال الحيوية ، كما أنه من الميسور أيضا تكليف مهندس أو البلديات المختلفة الاشراف على المبانى الواقعة فى القرى القريبة منهم ، ويمكن باتحاد المصلحتين ( المبانى والبلديات ) مع زيادة بسيطة جدا فى عدد الملاحظين )( بل قد لايستدعى الأمر تلك الزيادة إذا انعقدت النية على الانتفاع بحزم بكل الموظفين القليل العمل فى بعض المصالح الحكومية ) تنظيم الاشراف والمراقبة على حركة بناء مساكن الفلاحين دون أن تتكبد خزانة الدولة نفقات تذكر مقابل ماقد يضطر إليه الأمر من إيجاد بعض الملاحظين ، ومن مصاريف انتقال لمختلف الموظفين إلى مكان العمل ، وبذلك تسدى الحكومة للفلاحين خدمات جليلة ليس فى مكنتهم الحصول عليها إلا بنفقات تثقل كاهلهم لو أن الحكومة لم تتولها .

رابعا — ولما كانت المنازل الحديثة تحتاج إلى موالاتها بالنظافة من جهة ومن المفروض أن سكانها يتوخون النظافة فى كل شئ من جهة أخرى ، فان أول مايتطلعون إليه هو توفير المياه النظيفة الصالحة سواء لشربهم أو للاستعمال المنزلى .

وقد تضاربت الآراء فى كيفية توفير المياه النقية للقرى ، على أن الفكرة التى أخذت بها بعض الجهات الحكومية كانت تقضى بانشاء محطات رئيسية تستمد المياه من النيل وفروعه ثم تقوم بترشيحها وتطهيرها وتوزيعها على المنطقة التى تقوم كل محطة من تلك المحطات الرئيسية منها بواسطة أنابيب تعد لهذا الغرض وتتشعب فى نواحى المنطقة المختلفة والتى قد تشمل مديرية بمذافيرها ، وقد تغذى كل محطة مليونا من الأنفس مثلا ، وقد نظرت

مصلحة الصحة فى إنشاء محطة رئيسية بهذا الوصف لأمداد جميع قرى مديرية الفيوم بمياه للشرب الصالحة .

ويبلغ تعداد الأنفس الذين ينتفعون من ذلك نيفا ونصف مليون من السكان وقد لوحظ أن الشطر الأكبر للنفقات اللازمة للمشروع بأكمله يستغرقه مد الأنابيب الموصلة من المحطة الى القرى المختلفة .

على أن تعميم إنشاء تلك المحطات فى القطر بأكمله يستلزم إنفاق نحو عشرين مليونا من الجنيهات ، أغلبها يصرف على مد الأنابيب ، كما أن المنصرف سنويا على تلك المحطات والأنابيب قد يربو سنويا على المليونين من الجنيهات ، ولذا كان نجاح المشروع بشكله هذا متوقفا لدرجة كبيرة على مدى ما تستطيع ميزانية الدولة العامة احتماله من تلك النفقات ، ولو أن تقاضى ثمن المياه من المنتفعين بها ، إن كانوا فى حالة رخاء تسمح بذلك ، يخفف كثيرا من عبء المصاريف السنوية ، ولكنه لا يخفف من رأس المال اللازم للمشروع بأكمله مما قد يكون عقبة كبيرة فى سبيل تنفيذه وداعيا لارجائه الى عشرات السنين أو إلى أجل غير مسمى ، وتظل المنازل الحديثة التى أنشئت فى القرى ينقصها العامل الاساسى اللازم لنظافة وصحة سكانها ، أى الماء الصالح للشرب .

ويلوح لى أن حل هذا الموضوع يستدعى السير فى طريق آخر يمكن به الوصول الى نفس النتيجة بخطوات متئدة ثابتة بحيث لاتكون فكرة توفير مياه الشرب للقرى عرضة لتوالى الاختفاء والظهور حسب مقتضيات الظروف المالية دون أن تأخذ طريق التنفيذ .

فالواقع أن هناك بلادا كثيرة من بلاد القطر تستورد مياه الشرب من عملياتها الخاصة ، كما أن من بعض مناطق القطر جهات لو عملت بها آبار توازية لأخرجت مياها صالحة للشرب دون حاجة الى ترشيح أو تعقيم . وهناك غير هذا وذاك بلاد تمر بها ترع يمكن أن تستمد منها المياه العكرة طول السنة ما عدا مدة الجفاف الشتوى وهى أربعون يوما فى السنة فقط !!

فالانتفاع بكل هذه الظروف مجتمعة يدعو فوق الاقتصاد فى النفقات الى إمكان توريد المياه الصالحة للشرب الى بعض المناطق فى وقت قصير وبدون كلفة كبيرة بحيث يمكن لميزانية الدولة أن تتسع له دون كبير عناء .

فمثلا فى القرى القريبة من المدن التى لها عمليات مياه خاصة وتمتد فى أنحائها شبكة الأنابيب لتوزيع المياه فى مختلف أحيائها يمكن أن تنشأ فروع صغيرة من أطراف هذه الشبكة توصل المياه الى القرى القريبة بنفقات زهيدة ، إذ لن يحمل على هذا المشروع مصاريف

إنشاء العملية الأصلية الخاصة بالترشيح وآلات الضغط والتعقيم والشبكة الممتدة فى أحياء المدينة ومصاريف الموظفين والمستخدمين اللازمين ، إذ أن كل ذلك موجود فعلا ، ولن يستلزم الأمر إلا إنشاء بعض أنابيب فرعية لتغذية تلك القرى ، وذلك هين سواء من جهة رأس المال أو الوقت اللازم للانشاء .

كما أنه فى بعض المناطق التى تصلح المياه الارتوازية فيها للشرب يمكن دق الآبار الارتوازية اللازمة وتغذية بضع قرى متجاورة من محطة صغيرة قليلة النفقة ، ولكن يحتاج الأمر إلى مرشحات وغيره نظرا لنقاء المياه الارتوازية وتكون تكاليف الإنشاء فى هذه الحالة متراوحة بين ثلث ونصف النفقات اللازمة فيما لو أنشئ مشروع خاص بترشيح المياه العكرة المستمدة من النيل أو أحد فروعه ؛ فبتكاليف محدودة يمكن فورا مد شطر من القرى بالمياه الصالحة للشرب دون انتظار انجاز المشاريع الكبيرة التى تتوقف على حالة الميزانية .

ومن جهة أخرى فانه يمكن مد بعض القرى والمدن التى لاتصلح بها الآبار الارتوازية بمياه الشرب المأخوذة من الترع المجاورة لتلك المدن أو مجموعة القرى ، و بترشيحها أو تعقيمها تصبح صالحة للشرب وذلك بدلا من القيد بوجوب أخذ المياه من النيل مباشرة أو أحد فروعه الرئيسية مما

يتكلف كثيرا جدا فى مد الأنابيب المختلفة الأحجام سواء لتخصيصها لمياه العكرة أو المرشحة ، و إذا قيل إن الترع تجف فى بعض فصول السنة لأعمال التطهير فى موسم الجفاف الشتوى وهو أربعون يوما ، فمن الميسور إما دق آبار إرتوازية فى تلك المناطق لتستمد منها المياه فى فترة الأربعين يوما هذه ( وذلك على فرض أن ملوحة المياه قد تكون زائدة بعض الشيء مما يجعلها لاتضر بالصحة ، ولو أنها ليست سائغة تماما لمن يشربها ) وكلفة هذه الآبار صغيرة جدا ، و إما يسمح بمرور كمية من المياه فى هذه الترع تكفى للشرب فى مدة الجفاف الشتوى ولو عن طريق المناوبات على ترعتين بحيث يمكن أخذ المياه من إحداهما حين إجراء التطهير فى الأخرى . ولن يضير هذا الترتيب أعمال الرى فى شئ لو أنه درس بعناية ، كما أنه لايمس كل ترع القطر بل بعضها الذى سيخصص للشرب ، و إذا قيل إن كمية المياه التى ستؤخذ تؤثر على الإيراد المائى للنيل فى فصل الصيف ، فإنى أقول لك إنه مع التسليم بأن المياه المخصصة للملاحة التى ستؤخذ من الإيراد النيلى تصل إلى نحو مليار من الأمتار المكعبة فى الوقت الحاضر ، فإن مايلزم لشرب القطر كله فى مدة ٤٠ يوما باعتبار أخذه من النيل لايصل إلا إلى خمسة فى المائة من هذا المقدار ، وهو قدر ضئيل لايدعو إلى القول بأنه يؤثر على الإيراد النيلى تأثيرا يذكر ، كما أنه لايطلب أن يملأ الترع التى يمر فيها إلى مناسيبه الفيضان بل يكفى أن يمر فى الترع بعمق بسيط مادامت الطامبات ترفعة من الترع لترشيحه ثم تعقيمه فيما بعد .

فإذا نظرنا إلى مايمكن عمله بدرس ظروف كل منطقة من مناطق القطر على الأسس التى أسلفت لك ذكرها ، أمكن صرف حوالى خمسين ألف من الجنيهات كل عام باستمرار للوصول بخطوات وئيدة ثابتة إلى تعميم مياه الشرب فى القرى دون إرهاق الميزانية العامة بملايين الجنيهات دفعة واحدة لهذا الغرض .

خامسا — يأتى بعد مياه الشرب خطوة كمالية تجعل المنازل القروية الحديثة فى صف منازل الدرجة الأولى وهذه الخطوة هى توصيل الإنارة الكهربائية ، إن لم يكن لتلك المنازل فعلى الأقل لإنارة شوارع القرى ، وهذا أمر ميسور عندما يتم تنفيذ مشروع الشبكة الكهربائية الموحدة للقطر كله على أنه يتسنى فى الوقت الحاضر إمداد بعض القرى القريبة من المدن التى بها عمليات لتوليد الكهرباء بالتيار الكهربائى اللازم ، كما أن ما سبق أن أنشأته وزارة الأشغال من الشبكات الكهربائية سواء فى الوجه البحرى أو القبلى لأعمال الرى والصرف يمكن استعماله أيضا لهذا الغرض" .

دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الاعراب ، فارتاع من هيبته ، فقال عليه الصلاة والسلام : خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

ووفد وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم .

وقال جرير بن عبدالله البجلى : « ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا ابتسم » .

## مكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية

بمناسبة ما تأخذ به وزارة الشؤون الاجتماعية فى هـذه الآونة من الاضطلاع بتنفيذ مشروع مكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية لنشر القانون ، الخـاص بذلك فيما يلى ، وهو بعد الديباجة :

١ — تطبق أحكام هذا القانون على كل مصرى من الذكور تزيد سنه على الثنتى عشرة سنة ولا تتجاوز الخامسة والأربعين ولم يكن ملما بالقراءة والكتابة .

ويجوز بقرار من وزير الشؤون الاجتماعية تطبيق أحكامه على الاناث من المصريات اللاتى تزيد سنهن على الثانية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشرة على شرط أن تعلم الفتيات على حدة وأن يقوم بتعليمهن أناث فقط .

٢ — يفرض على الأميين الذين يخضعون لأحكام هـذا القانون تعلم القراءة والكتابة والمبادئ العامة للدين ومبادئ علم الحساب والمقاييس والموازين والمكاييل والنقود المستعملة فى المملكة المصرية مع قسط مناسب من الثقافة العامة .

وتعين مناهج الدراسة بقرار من وزير الشؤون الاجتماعية .

ويكون هذا التعليم بالمجان .

٣ — يعفى من الإلزام المبين فى المـادة السابقة كل شخص مصـاب بمرض او بعاهة بدنية أو عقلية تمنعه عن تلقى الدراسة ، ويزول الاعفاء بزوال المرض أو العاهة .

٤ — تكون مدة الدراسة تسعة أشهر متصلة لا تقطعها سـوى العطلات الرسمية وما تقتضيه المواسم الزراعية .

وتكون الدراسة لمدة خمسة أيام على الأكثر فى الأسـبوع لا تدخل فيهـا أيام الجمع ، وتكون لمدة ساعتين فى اليوم .

٥ — ويراعى فى تحديد أوقاتها ظروف الأشخاص الذين يتلقون الدراسـة من حيث مواعيد أشغالهم وتوفير راحتهم .

٦ — للوزارة فى سبيل استصدار مشروع مرسوم بمشروع قانون بتعديل نص هذه المـادة

٥ — تعين بقرارات من وزير الشؤون الاجتماعية الجهات التى أعدت فيها وحدات لمكافحة الأمية وتثقيف الشعب والتى يسرى عليها حكم الإلزام المشار اليه فى المادة الثانية .

ويبدأ الإلزام بعد ثلاثين يوما من تاريخ نشر كل قرار .

٦ يجب على مأمورى المراكز والأقسام والعمد أن يقيدوا فى سجل خاص أسماء الأميين فى دائرة اختصاصهم وذلك فى خلال ثلاثين يوما من تاريخ العمل بهذا القانون مع بيان سنهم وصناعتهم ومحل إقامتهم .

كما يجب عليهم أن يقيدوا فى السجل المذكور وفى الموعد المتقدم ذكره ما يوجد فى دائرة اختصاصهم من معاهد للتعليم عامة أو خاصة أو أمكنة صالحة للدراسة .

٧ — يجب على المعلمين فى جميع المدارس الاولية والابتدائية والفنية والثانوية الحكومية والحرة أن يقوموا بمهمة تعليم الأميين كلما طلب منهم ذلك وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية ، فاذا لم يوجد منهم العدد الكافى جاز لوزير الشؤون الاجتماعية تكليف غيرهم من المتعلمين سواء أكانوا من الموظفين أو من غيرهم بالتدريس مع مراعاة ظروفهم وأوقات فراغهم .

٨ — تهيأ فى كل وحدة الأماكن الكافية والملائمة لتعليم الأميين وتزود بحاجاتها من أدوات الدراسة وكتبها ، ويستعان بالأدوات المستديمة بمعاهد التعليم والكتب الدراسية التى تستعمل فى التعليم الأولى وكذلك الزائدة عن حاجة وزارة المعارف العمومية الى أن توضع الكتب الملائمة لأغراض هذا التعليم .

وتؤدى الدراسة بمعاهد التعليم على اختلاف أنواعها حكومية وحرة عدا معاهد التعليم العالى ، فاذا لم تتسع تلك المعاهد لأغراض الدراسة جاز أن تؤدى فى الأمكنة الآتية :

(١) دور العبادة .

(٢) دور الحكومة العامة .

(٣) قاعات الاجتماعات والمحاضرات .

(٤) الأماكن التى يقدمها أصحابها وتكون صالحة لهذا الغرض .

فاذا تعذر وجود أمكنة صالحة للتدريس جاز أن يكون التعليم فى الهواء الطلق مع مراعاة فصول السنة وأسباب الوقاية الوقتية من تقلبات الجو .

ويجب على أصحاب ومستغلى قاعات الاجتماعات والمحاضرات التى يصدر قرار من وزير الشؤون الاجتماعية بتخصيصها لأغراض مكافحة الأمية أن يضعوها تحت تصرف وزارة الشؤون الاجتماعية لهذا الغرض وفى الأوقات التى تكون فيها خالية وبدون أجر .

٩ — يمنح المكلفون بالتعليم مكافآت مالية تحدد قيمتها وشروط منحها بقرار من مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية

ويجوز أن تمنح جوائز للمعلمين الذين يمتازون فى عملهم امتيازا يكون له أثره فى نتيجة الامتحان .

١٠ — يجب على أصحاب الأعمال التجارية والصناعية الذين يستخدمون عادة ثلاثين عاملا فأكثر أن يهيئوا على نفقتهم وحدات لمحو الأمية بين عمالهم وأن يتحققوا من قيام هذه الوحدات بمهمتها على الوجه المبين فى هذا القانون ، وأن يتكفلوا بدفع المكافآت التى تصرف لمن يقومون بالتعليم فيها ، فاذا لم يقوموا بذلك كله قامت الوزارة بتعليم هؤلاء العمال على نفقتهم ، بشرط ألا تزيد النفقات التى يلزمون بأدائها على ٣ ٪ من مجموع الضرائب التى يدفعونها وألا تتجاوز مدتها أربع سنوات .

ويجوز لوزير الشؤون الاجتماعية بالنسبة لأصحاب الأطيان الذين يملكون مائتى فدان فأكثر أن يخصص لكل منهم عددا معينا من العمال للقيام بتعليمهم أو التكفل بالنفقات المترتبة على ذلك ، بشرط ألا تزيد النفقات التى يلزمون بأدائها على ٣ ٪ من قيمة الضريبة التى يدفعونها وألا تتجاوز مدتها أربع سنوات .

ويجوز تحصيل النفقات المستحقة بالأحكام السابقة بطريق الحجز الأدارى طبقا للأمر العالى الصادر فى ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ المعدل بالأمر العالى الصادر فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٥

١١ — يجب على مصلحة السجون أن تتولى تعليم المسجونين الذين تزيد مدة حبسهم على تسعة شهور وذلك بالتطبيق لأحكام هذا القانون .

١٢ — مصالح الحكومة التى تستخدم عمالا ومستخدمين خارج الهيئة يزيد عددهم على خمسة عشر فى بلد واحدة تقوم بتعليم عمالها ومستخدميها طبقا لأحكام هذا القانون .

وتقوم وزارتا الدفاع الوطنى والداخلية بتعليم الأميين من العساكر وضباط الصف التابعين لها طبقا لمناهج التعليم المقررة والتى ستقررها وزارة الشؤون الاجتماعية .

١٣ — تعقد امتحانات عامة فى نهاية المدة المخصصة للدراسة ويعطى للناجحين شهادة دالة على نجاحهم ومن يرسب يلزم باعادة الدراسة .

١٤ — يقوم المراقبون والمفتشون التابعون لوزارة المعارف العمومية وغيرهم ممن ينتدبهم وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية بالاشراف الفنى على وحدات مكافحة الأمية، وعليهم أن يقدموا لوزير الشؤون الاجتماعية كل ثلاثة شهور تقارير يبين فيها مدى نشاط التعليم وتقدمه وتوفر وسائله ، وعلى العموم نتيجة سير العمل من كافة نواحيه، كما يجب على المشرفين على فصول الدراسة فى كل وحدة أن يقدموا على الوجه المتقدم لمراقبى مناطق التعليم تقريرا كل شهر عن حالة الدراسة والمواظبة فى الفصول التى يشرفون عليها ، وعلى هؤلاء أن يضمنوا تقاريرهم للوزارة فحوى مايرد فى هذه التقارير مشفوعة برأيهم.

١٥ — تشكل فى كل قسم أو مركز لجنة برئاسة مأمور المركز أو القسم وعضوية اثنين ممن يقيمون بدائرته يختارهما وزير الشؤون الاجتماعية .

كما تشكل بعاصمة كل مديرية أو محافظة لجنة عليا برئاسة المدير أو المحافظ وعضوية اثنين من أعضاء مجلس المديرية فى المديريات ومن المقيمين فى المحافظات على أن يضم اليها مراقب المنطقة ومدير التعليم وذلك فى المديريات ، والمدير العام للتعليم الأولى فى محافظة القاهرة، وأحد نظارا لمدارس الثانوية فى المحافظات الأخرى يختارهم وزير الشؤن الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية .

وتكون مهمة اللجنة الأولى معاونة وزارة الشؤون الاجتماعية وتحت اشرافها . المباشره فى انشاء وحدات التعليم وتزويدها بحاجتها من الأدوات ومواقبة حسن سير الدراسة والمواظبة فيها .

وتكون مهمة اللجنة الثانية تحقيق الأشراف العام فى المديرية أو المحافظة على سير العمل فى الوحدات التابعة لها .

وعلى لجنة المركز أو القسم أن ترسل تقريرا للجنة العليا كل شهر متضمنا ملاحظاتها عن سير العمل واقتراحاتها ، وعلى اللجنة العليا أن ترفع لوزير الشؤون الاجتماعية كل ثلاثة أشهر تقريرا كذلك بنتيجة إشرافها وما تقترحه لضمان نظام العمل فى الوحدات وقيام المكلفين بالتعليم فيها أو الأشراف عليها بواجباتها .

١٦ — يقوم بالتفتيش الصحى على الوحدات أطباء وزارتى الصحة العمومية والمعارف العمومية وعليهم أن يقدموا تقاريرهم عن الحالة الصحية على الوجه المتقدم .

١٧ — يعاقب بغرامة لا تقل عن مائة قرش ولا تزيد على ألف قرش وبالحبس مدة لا تزيد على شهر أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من يمتنع عن التعليم أو يتخلف عنه دون عذر مقبول ، فإن كانت سنه تقل عن ١٤ سنة ميلادية عوقب ولى أمره وحده بالعقوبات ذاتها متى ثبت تقصيره .

ويعاقب بعقوبة الغرامة السابقة كل شخص كلف بالتدريس أو الأشراف وقصر فيه أو انقطع عنه أو امتنع عن الوفاء بالالتزامات التى فرضها هذا القانون أو القرارات المنفذة له دون عذر مقبول .

كذلك يعاقب بعقوبة الغرامة السابقة أصحاب ومستغلوا قاعات الاجتماعات والمحاضرات الذين يحولون بأية طريقة كانت دون الانتفاع بها فى مكافحة الأمية .

١٨ — بعد مضى أربع سنوات من بدء تنفيذ مكافحة الأمية فى جهة بالذات بالتطبيق لحكم المادة الخامسة وفى الحدود المبينة فى المادتين الأولى والثالثة من هذا القانون لا يقبل الأشخاص الذين لا يحملون أجازة بتأدية الامتحان الخاص بمحو الأمية فى خدمة الحكومة والمصالح التابعة لها ولا فى المؤسسات والمصانع والمحال التجارية .

كما لا يجوز أن يمنحوا رخصة جديدة أو مجددة بمزاولة حرفة من الحرف التى تتطلب ترخيصا أو أن تقبل منهم عطاءات أو مقاولات لجهة من جهات الحكومة أو المجالس البلدية أو مجالس المديريات أو أية جهة ملتزمة بمرفق عام .

" الوزارة فى سبيل استصدار مشروع مرسوم بمشروع قانون بتعديل نص هذه المادة "

١٩ — يتولى اثبات المخالفات لأحكام هذا القانون والقرارات المنفذة له الموظفون الذين يندبهم وزير الشئون الاجتماعية لهذا الفرض ويكون لهم فى هذا الشأن صفة رجال الضبطية القضائية .

٢٠ — ينفذ هذا القانون ابتداء من العام الدراسى القادم ١٩٤٤/١٩٤٥ .

٢١ — على وزرائنا كل فيما يخصه تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

ولوزير الشئون الاجتماعية اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه . "

٢٥٠٠٠–١٩٤٥–٨٢٥٢